

منظمة «حملة من أجل سوريا»

الطريق نحو عدالة شاملة

تقرير

نيسان ٢٠٢٢

إعداد:

مؤسسة حقوق الإنسان (HRF)

مركز من أجل القانون والديمقراطية

٣٥، Fifth Avenue #٤٢.٢

New York, NY ١٠١١٨

Hrf.org

منظمة
«حملة من
أجل سوريا»

مؤسسة حقوق الانسان ومنظمة «حملة من أجل سوريا»

مؤسسة حقوق الإنسان (HRF) هي منظمة غير حزبية لا تبتغي الربح، تعمل على حماية وتعزيز حقوق الإنسان على نطاق العالم وبالأخص في المجتمعات المغلقة. توحد المؤسسة الناس حول قضية مشتركة هدفها الدفاع عن حقوق الإنسان وتعزيز الديمقراطية الليبرالية. مهمتها تكمن في ضمان المحافظة على الحرية وتعزيزها في جميع أنحاء العالم.

تركز مؤسسة حقوق الإنسان عملها على المثل التأسيسية العليا لحركة حقوق الإنسان، والمتمثلة بأبهي حلها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٨ وفي العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية للعام ١٩٧٦.

هي واحدة من المنظمات الدولية القليلة التي تركّز حصرياً على البلدان التي تترج تحت الأنظمة الاستبدادية، ومن بينها النظام الحالي في سوريا. تؤمن مؤسسة حقوق الإنسان بأن مواردها يمكن أن يكون لها الأثر الأكبر في البلدان التي تتعرض فيها وسائل الإعلام المستقلة، والمدافعين عن حقوق الإنسان، ومراكز الفكر، وأحزاب المعارضة، وكذلك المنظمات غير الحكومية، لتهديد مستمر حيث يتم منعهم بشكل منهجي من التعبير عن أنفسهم فيما يخص السياسة الداخلية.

منظمة «حملة من أجل سوريا» (TSC) هي منظمة حقوقية تدعم أبطال سوريا في نضالهم من أجل الحرية والعدالة والديمقراطية. تم إطلاق «حملة من أجل سوريا» في الذكرى الثالثة للانتفاضة في آذار ٢٠١٤ في وقت كانت فيه سوريا تختفي من جداول الأعمال الإعلامية والسياسية في جميع أنحاء العالم. تبذل المنظمة، كونها ناشطة في مجال حقوق الإنسان ما في وسعها لإعادة تركيز الاهتمام العالمي والعمل من أجل سوريا.

سوف يعود الاستقرار إلى سوريا فقط من خلال الاستماع إلى مطالب السوريين والوقوف إلى جانب أولئك الذين يريدون مستقبلاً سلمياً وديمقراطياً للبلاد. ان منظمة «حملة من أجل سوريا» تدعو من خلال تحركاتها، للارتقاء بالعمل البطولي والمُلهم للمدنيين على الأرض وتدعم فقط الأشخاص الذين يمكنهم بناء المستقبل الذي يليق بهم وهم : السوريين أنفسهم.

ان تقرير» تحديد اطار العدالة في سوريا: الطريق نحو العدالة الشاملة»، هو نتيجة تعاون بين مؤسسة حقوق الإنسان HRF ومنظمة «حملة من أجل سوريا» TSC. وتود هاتان المؤسستان الإعراب عن شكر خاص للأفراد التالية أسماءهم،الذين قدموا الوقت الثمين والخبرات للمساهمة في هذا التقرير:

- أحمد حلمي** ، مدافع عن حقوق الإنسان ومؤسس مشارك لمبادرة تعافي الجالود ، مدير البرامج في Mnemonic
- ألكسندرا ليلي كاتر** ، مستشارة قانونية
- أنور البني** ، محامي مختص في حقوق الانسان ورئيس المركز السوري للدراسات والبحوث القانونية
- إيريك ويت** ، كبير المسؤولين عن السياسات في مبادرة عدالة المجتمع المفتوح
- فضل عبد الغني** ، مدير الشبكة السورية لحقوق الإنسان
- حمودي الشعيب** ، سجين سياسي سابق وناشط من أجل حقوق السوريين
- حنين** ، مدير مشروع الأرشيف السوري ومحقق في Mnemonic
- حسين غريز** ، مدّون سوري سابقا ومدّعي ضد أنور ر.
- لميس الخطيب** ، مدافعة حقوقية وطبيبة أسنان في مخيم اليرموك ، وعضو في عائلات من اجل الحرية
- مريم الحلاق** ، رئيسة جمعية عائلات قيصر
- محمد العبد الله** ، المدير التنفيذي للمركز السوري للعدالة والمساءلة
- منى زين الدين** ، مديرة البرامج في Women Now for Development
- عمر الشخري** ، مدير شؤون المعتقلين في فرقة الطوارئ السورية، محاضر، مدافع عن حقوق الإنسان، ومحتجز سابق في الفرع ٢١٥
- باتريك كروكر** ، كبير المستشارين القانونيين في المركز الأوروبي للحقوق الدستورية وحقوق الإنسان
- روجر لو فيليبس** ، المدير القانوني في المركز السوري للعدالة والمساءلة
- رويدا يوسف كنعان** ، صحافية سورية ، باحثة في بودكاست صوت وناشطة سياسية وحقوقية.
- وفاء مصطفى** ، صحافية ومدافعة عن حقوق الإنسان
- يوسف وهبي** ، رئيس وحدة دعم القانون الدولي في برنامج التطوير القانوني السوري

تودّ كل من مؤسسة حقوق الانسان ومنظمة «حملة من أجل سوريا» أن تعرب أيضًا عن شكرها الخاص لأنعام سالم و كلوي داير و كنزة بو عنان لدعمهنّ البحثي والكتابي.

الفهرس

أ- ملخص تنفيذي ١

ب- المقدمة ٢

ج- نظرة شاملة : النظام السياسي والصراع السوري المسلح ٣

الاطار العام والخلفية

صعود بشار الأسد

بداية الصراع

التدخل الأجنبي

. حلفاء نظام الأسد

. دعم المعارضة

حالة الصراع في العام ٢٠٢٢

د - الاعتقال والتعذيب والاختفاء القسري ١٥

الاعتقال والتعذيب في ظل نظام الأسد

نطاق وطبيعة الاحتجاز والتعذيب الممنهجة منذ العام ٢٠١١ وحتى اليوم
العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي والتأثير المتباين على النساء
والرجال ومجتمع + LGBTQ

الاختفاء القسري

. التأثير على النساء

صور قيصر

ه - القانون الدولي والاختصاص القضائي العالمي ٢٨

القانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي

المحاكم الدولية

محكمة العدل الدولية

المحكمة الجنائية الدولية

المحاكم الجنائية الخاصة والمحاكم الخاصة

• المحاكم الجزائية الخاصة والمحاكم الخاصة في السياق السوري

• آلية المحاسبة الدولية وآليات المساءلة غير القضائية

لاختصاص القضائي العالمي
ملخص
الاختصاص القضائي العالمي، طريق معبّد لتحقيق العدالة
الانتقادات ونقاط الضعف

و- القضية السوريّة: محاكمة كوبلينز

٤٣

نظرة عامّة على الاختصاص القضائي العالمي في ألمانيا
محاكمة أنور ر. وإيد أ
العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي جرائم ضد الإنسانية
القيود
كوبلنز ، ألمانيا موقع المحاكمة
المشاكل والتداعيات الناتجة عن جوانب قانونية تقنية
قيود القضاء العالمي من حيث الجرائم في سوريا
تداعيات المحاكمة
أثرها على الناجين وانعكاساتها على ضباط النظام
الآثار المترتبة على المجتمع العالمي والسوابق القانونية الدولية

ز- العدالة لسوريا

٥٥

الحقيقة والاعلام
الحفاظ على السرديات
الشموليّة والمساواة بين الجنسين
الصحة النفسيّة

ح- الخاتمة

٦٢

ط- التوصيات والدعوات للعمل

٦٤

ملخص تنفيذي

في ربيع العام ٢٠٢٢، تقع الذكرى الحادية عشرة للثورة السورية. في آذار ٢٠١١، قام تلامذة المدارس السوريّة في جنوب درعا، مستوحين من احتجاجات الربيع العربي في جميع أنحاء الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، برسم شعارات مناهضة للنظام على جدار مدرسة محلية. فتمّ اعتقالهم وتعذيبهم واحتجازهم لأيام، ما أثار احتجاجات محلية تطالب بالإفراج عنهم. سرعان ما انتشرت المظاهرات السلمية في جميع أنحاء سوريا، داعية إلى الحرية والكرامة ثم إلى إسقاط نظام الأسد. ومع تطوّر وتيرة المظاهرات بشكل سريع، فاقم النظام السوري حملاته العسكرية على المتظاهرين.

مع تصاعد الصراع في الأشهر والسنوات التالية، تدخلت جهات أجنبية في سوريا ممّا أدى إلى تشعب الوضع وتحويله إلى حرب بالوكالة، مؤدياً إلى عددهائل من الضحايا وإلى دمار واسع النطاق ارتكبه مختلف الأطراف، بما فيهم المعارضون المسلحون للنظام، مثل داعش. وعلى الرغم من تعدّد الجهات المتدخلّة، فإن النظام السوري المعروف بسجله الطويل من الانتهاكات قبل النزاع، ارتكب معظم أعمال العنف بالاستعمال المفرط لكل من الأسلحة التقليدية والكيميائية والقصف الجوي والحصار والتجويع والتهجير، وذلك ضد المدنيين بشكل أساسي.

فمنذ العام ٢٠١١، انتشرت الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية بشكل واضح، ولأنّ نظام الأسد لا يتوانى عن أي شيء للحفاظ على سلطته، خلف الأبواب المغلقة، فقد لجأ أيضاً وعلى نطاق واسع إلى عمليات الاضفاء القسري الجماعي والاعتقال والتعذيب، بما في ذلك التعذيب الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي. لم تكن تجارب المعتقلين السوريين متجانسة، بل اختلفت حسب عوامل الجنس والهوية الجنسية والتوجه الجنسي واثرت على كيفية معاملة الأفراد مما يؤثر على كل الأجيال عبر الصدمات التي تنتج عنها.

ونظراً لأن تبعات الجرائم الدولية لا تقتصر فقط على الأفراد والدول، بل على المجتمع الدولي ككل، هناك دور يجب أن يمارسه الفاعلون القانونيون الدوليون وصانعو السياسات في ضمّ هذا الوضع المتغيّر. وعلى الرغم من أن القانون الدولي يحظر الجرائم ضد الإنسانية، مثل التعذيب، فقد أظهرت معظم الآليات القانونية الدولية، بما في ذلك المحكمة الجنائية الدولية، أنها غير قادرة على تفعيلها لتحقيق المساءلة في الاطار السوري، ممّا لا يترك للسوريين وغيرهم من ضحايا الجرائم المماثلة سوى أمل ضئيل ان وجد، بفعالية اللجوء الى القانون.

ومع ذلك، وفي هذا السياق الذي وُجدت فيه الدول والمصالح الإقليمية المتعارضة، أعطى مبدأ الاختصاص القضائي العالمي بصيص أمل في الآونة الأخيرة بما يخصّ الصراع السوري. إذ يتيح هذا الاختصاص للدول الادعاء في الجرائم الدولية بغض النظر عن ارتكابها، أو عن مكان ارتكابها أو ضدّ من ارتكبت، ويوفر للمدعيّن العاميّن أداة تمكّنهم من بدء التحقيقات وجمع الأدلّة. بموجب هذا المبدأ، يجوز للمحاكم الوطنية في نهاية المطاف أن تحاكم على هذه الجرائم العالمية ممّا يتيح الفرصة لمحاسبة الجناة ومنع الإفلات من العقاب.



صورة: لميس الخطيب تقف أمام المحكمة الإقليمية العليا في كوبلنز يوم صدور الحكم على أنور ر. مصدر الصورة: منظمة « حملة من أجل سوريا » / بول واغنز ، ١٧ كانون الثاني ٢٠٢٢

بدأت أول محاكمة جنائية علنية بموجب مبدأ الاختصاص القضائي العالمي بموضوع لجوء الدولة الى التعذيب في سوريا في نيسان ٢٠٢٠ في كوبلنز في ألمانيا. تشير «محاكمة الخطيب» إلى فرع المخابرات الذي سبق أن خدم فيه عضوان سابقان في المخابرات السورية، هما أنور ر. وإياد. خلال فترة تعاونهما مع النظام السوري. والجدير بالذكر أنه وبالرغم من أن «محاكمة الخطيب» ليست الخطوة الأولى التي تتخذها الدول الأوروبية، إذ توجد شكاوى قانونية متزامنة في فرنسا والسويد والنمسا والنرويج، فإن هذا التقرير سوف يعتمد على كدراسة حالة لتقييم مدى إمكانية أن تساهم في تحقيق العدالة لسوريا.

على الرغم من أن الاختصاص القضائي العالمي هو عنصر مهم من عناصر العدالة لسوريا ، فإنه لا بدّ من الإشارة الى أنه لا يحلّ قضايا العدالة الجنائية الداخلية التي أثارها النزاع المسلح لأنه لا يضمن محاسبة أولئك الذين ارتكبوا جرائم جسيمة خاصة وأن الصراع لا يزال مستمرًا. فقد فشل مثلاً في معالجة آثار المعاناة التي لحقت بملايين الضحايا السوريين أو في تقديم إجابات حول مكان وجود المختطفين. كما وأن هناك مكونات أخرى يجب معالجتها، في محاولة للعمل نحو تحقيق العدالة الشاملة في سوريا، مثل التحليلات القائمة على التنوع الجندي الاجتماعي ودعم الصحة العقلية. في حين أن حركة بناء عدالة شاملة لسوريا لها حدود وتحديات ، يبقى من المهم التذكير أنها تحدث بينما لا يزال الصراع في سوريا مستمرًا. ولكن الفائدة التي يقدمها هي فيغني الأدلة المتاحة بسهولة لأغراض المساءلة، وأبرزها الناجون والشهود الذين ما يزالون على قيد الحياة والمستعدون لمشاركة قصصهم والإدلاء بشهاداتهم ضدّ الجناة.

في وضع الصراع الحالي القائم في سوريا، تدعم مؤسسة حقوق الانسان ومنظمة « حملة من أجل سوريا» اللجوء الهادف الى القضاء العالمي كوسيلة لمحاسبة المتهمين بارتكاب جرائم ضد الإنسانية في سوريا ، مع ايمانها بأنه لا يمكن معالجة فجوة الإفلات من العقاب إلا من خلال نهج شامل يؤدّي إلى عدالة انتقالية في ظلّ إرادة السياسية الدوليّة.

مقدمة

من أجل ضمان فهم شامل لتأثير محاكمات القضاء العالمي على الجرائم ضد الإنسانية في سوريا، تم تقسيم هذا التقرير إلى ثمانية أقسام. تجدر الإشارة هنا إلى أنه ولغرض توثيق هذا التقرير، أجرتمؤسسة حقوق الانسان و«حملة من أجل سوريا»مقابلات مع العديد من الباحثين والقانونيين الدوليين وخبراء في التكنولوجيا ومع الضحايا السوريين والناجين وأفراد عائلات السوريين المختطفين، وقد قدّموا جميعهم وجهات نظر فريدة أظهرت مدى الانتهاكات الممنهجة التي يرتكبها النظام السوري وآثارها على بناء قضية من أجل العدالة السورية.

القسم الثاني يقدّم نظرة عامة تأسيسية توضح الوضع في سوريا، بما في ذلك كيفية وصول بشار الأسد إلى السلطة بعد الحكم الديكتاتوري الذي مارسه والده حافظ الأسد. كما يعطي هذا القسم أيضًا صورة عن أحداث الربيع العربي والصراع السوري اللاحق، وكذلك عن مختلف الجهات الفاعلة الحكومية وغير الحكومية في الصراع.

القسم الثالث يسلط الضوء على استخدام الاعتقال والتعذيب والاختفاء القسري من قبل نظام الأسد، موضّحًا دور أجهزة «المخابرات»، وانتهاكات حقوق الإنسان على نطاق واسع، كما يظهر في صور قيصر. يؤكد هذا القسم أيضًا على التأثير المتباين لطرق القمع هذه على الأفراد، ولا سيما النساء وأعضاء مجتمع LGBTQ + ، ويعزّز مفهوم عدم التجانس في تجارب الناجين السوريين.

القسم الرابع يركّز على القانون الدولي والأطر القانونية لملاحقة الجرائم ضد الإنسانية، مع التركيز بشكل خاص على السبل المتاحة لتحقيق العدالة، بما في ذلك مبدأ القضاء العالمي.

القسم الخامس يقيّم كلاً من نقاط القوة ونقاط الضعف في محاكمات اثنين من مسؤولي النظام السوري في كوبلنز بألمانيا، والتي جرت بموجب مبدأ القضاء العالمي. يظهر هذا القسم تأثيرها وانعكاساتها وأهميتها بالنسبة للضحايا والناجين والأسر السورية وكذلك بالنسبة للقانون الدولي عامة.

القسم السادس يلقي الضوء على المكوّنات الأخرى للعدالة في سوريا عامة ويبحث في كيفية تناسب المساءلة الجنائية لمرتكبي الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان مع منظور أوسع للعدالة الانتقالية. القسم السابع يقيّم مزايا وقيود القضاء الدولي من منظور واحد مع مراعاة العناصر الأخرى التي تحقّق العدالة الشاملة لسوريا.

القسم الثامن والأخير من التقرير، يقدّم توصيات للمجتمع الدولي والمجتمع المدني ولصانعي السياسات والقانونيين والخبراء في التكنولوجيا الذين يعملون لدعم المبادرات التي ستحقّق العدالة الشاملة لسوريا.



نظرة شاملة: النظام السياسي والصراع المسلح في سوريا^١

١ ملاحظة حول المصطلحات: في هذا التقرير، نشير إلى النزاع المسلح في سوريا على أنه «الصراع» بدلاً من الحرب الأهلية. بينما يشار غالباً إلى الصراع على أنه حرب أهلية. يرى الكثيرون أنها تسمية خاطئة. إن مفهوم الحرب الأهلية يشير إلى صراع داخلي بين أطراف متعارضة، أفرادها مواطنون ضمن دولة واحدة يتنافسون فيها على السيطرة. هذا الوضع لا ينطبق في سوريا، حيث تدخلت دولة أجنبية مما أطل أمم الصراع وغيّر تركيبته وحوله إلى حرب بالوكالة. منتقدو مصطلح «الحرب الأهلية» يرون أنه يحجب دور القوى الدولية والإقليمية الفاعلة في الصراع. ويمنح نظام الأسد نوعاً من الشرعية كما تعطي المجتمع الدولي رغبة لعدم التدخل. الجهات الدولية الفاعلة المتورطة في سوريا تشمل إيران وإسرائيل وقطر وروسيا والمملكة العربية السعودية وتركيا، وتشكل تحالفاً وثيقاً بينها بقيادة الولايات المتحدة.

المرجع: «التصنيف القانوني للنزاعات المسلحة في سوريا وليبيا واليمن»، لويز أريما تسو ومهوبا شودري، تشاتام هاوس (أذار ٢٠١٤) https://www.chathamhouse.org/2014/03/ClassificationConflictsArimatsuChoudhury1/sites/default/files/home/chatham/public_html/sites/default/files/pdf.20140300ClassificationConflictsArimatsuChoudhury1/sites/default/files/home/chatham/public_html/sites/default/files

كما أنّ منظمات حقوق الإنسان مثل منظمة العفو الدولية وكذلك مراكز الفكر والبحوث ومركز أبحاث الكونغرس الأمريكية مثلاً، تشير إلى الوضع على أنه صراع مسلح.

المرجع: الصراع المسلح في سوريا: نظرة عامة ورد الولايات

المتحدة، (٢٧ تموز ٢٠٢٠) Cong. Research Serv.RL٣٣٤٨٧

[pdf.https://sgp.fas.org/crs/mideast/RL33487](https://sgp.fas.org/crs/mideast/RL33487)

منذ حصولها على الاستقلال عن فرنسا عام ١٩٤٦، تميّزت سوريا بالاضطرابات الداخلية والنزاعات المسلّحة على حدّ سواء. خلال الفترة ما بين ١٩٤٩ وطوال الستينيات، شهدت البلاد سلسلة من الانقلابات^٢، بلغت ذروتها باستيلاء حزب البعث على السلطة في العام ١٩٦٣، مما مهّد الطريق لصعود الجنرال حافظ الأسد، الذي استولى أخيراً على السلطة عام ١٩٧٠. الأسد كان عضواً في حزب البعث، الذي دافع عن أيديولوجية اشتراكية عربية، وكان يسيطر على النظام منذ العام ١٩٦٣، عندما أطاح ضباط الجيش البعثيون بالحكومة السابقة^٣.

حكم الأسد سوريا لمدة ٣٠ عامًا حتى وفاته عام ٢٠١١. وفي ظلّ حكمه، تحوّلت البلاد من دولة ممزّقة وغير مستقرّة إلى لاعب رئيسي في سياسة العالم العربي. إلا أنّه كان أيضًا دكتاتورًا عنيفًا وقد حوّل سوريا ليس فقط إلى قوة إقليمية بل أيضا إلى دولة أمنية تنتشر فيها شبكات التجسس التي لا ترحم المعارضين^٤. بدأ نظامه محصّنا ضد الانقلابات نظرا للموالة القسوى للضباط في مراتب الجيش العليا لعائلة الأسد. ونظرا للعديد من أجهزة المخابرات ذات الاختصاصات القضائية المتداخلة التي أنشئت بحيث أصبحت كل محاولة للتخريب أمراً مستحيلاً^٥. المعارضون للنظام كانوا يُسجنون ويتعرضون للتعذيب وللقتل. (صورة: منزل في حماة بعد المجزرة. المصدر: ويكيميديا كومونز)

كان سجن تدمر سيئ السمعة ويؤوي آلاف السجناء السياسيين خلال حكم الأسد. في عام ١٩٨٠، تمّ ذبح ما يصل إلى ١٠٠٠ محتجزا في غضون دقائق عندما أطلق الحراس النار على زنانات السجن^٦.

من أكثر الأمثلة دموية وأبرزها عن قمع النظام كانت حملته على المتمردين السياسيين، وبلغت ذروتها في مذبحة حماة الشهيرة عام ١٩٨٢. كانت جماعة الإخوان المسلمين، وهو حزب سياسي إسلامي معارض للحكم البعثي، مسؤولة عن تدبير اغتالات وتفجيرات لضباط النظام في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات^٧. ردًا على تحريضهم على انتفاضة مدينة حماة، نشر الأسد ١٢ ألف جندي بقيادة شقيقه رفعت لمحاورة المدينة. بعد قرابة شهر من قصف المدينة، اقتحم جنود مسلّحون المنازل، الواحد تلو الآخر وقتلوا بشكل عشوائي المتعاطفين مع الإخوان المسلمين والمدنيّين على حد سواء^٨.



منزل في حماة بعد المجزرة. المصدر: ويكيميديا كومونز

٢ حلا دياب، حول تاريخ سوريا المضطرب للانقلابات، العربية (٢٠ مايو ٢٠٢٠، ١٠:٤٥ صباحًا بتوقيت الخليج) <https://english.alarabiya.net/views/news/middle-east/26/11/2014/On-Syria-s-turbulent-history-of-coups>

٣ (آخر زيارة في ٢٥ شباط ٢٠٢٢) حزب البعث، موسوعة بريتانكا، <http://britannica.com/bath-party/>

٤ الحرية في العالم https://freedomhouse.org/sites/default/files-1998-complete_1999-1998_Freedom_in_the_World02-2020/1999FreedomHouse.pdf

٥ تبسم زكريا، لا يوجد خليفة واضح لحكم الأسد «ضد الانقلابات» في سوريا، رويترز (٢٧ شباط ٢٠١٢، ٧:١٥ صباحًا) <https://www.reuters.com/article/ususa-syria-assad/no-clear-successor-to-assads-coup-proof-rule-in-syria-idUSTRE81Q11320120227>

٦ أسو أسجن في العالم؟، مقابلة مع مريم الحلاق «تدمر من الداخل» (BBC June 20, 2015) <https://www.bbc.com/news/magazine.2015.20>

٧ الإخوان المسلمون في سوريا، ماكوم، كير كارنيغي الشرق الأوسط (١ شباط ٢٠١٢). <https://Carnegie-mec.org/publications/?fa48370>

٨ بعد ثلاثين عامًا، لديبورا هـ أموس (٢ شباط فبراير ٢٠١٢)، الصور من «emerge from killings in Syria, Nat'l Pub.Radio» <https://www.npr.org/years-later-photos-emerge-from-killings-in-syria-30-146235292/01/02//2012/>

اعداد المدنيين الذين قُضوا في المذبحة تتراوح ما بين ٢٠,٠٠٠ و ٤٠,٠٠٠، مما شكّل رسالة هادفة وواضحة مفادها أنه لن يتم التسامح مع المعارضة^٩.

في السنوات الأخيرة الماضية، ظهر أن مذبحة حماة كانت مقدّمة لأحداث العام ٢٠١١ وللقمع الوحشي لخليفة حافظ الأسد، نجله بشار الأسد.

صعود بشار الأسد

بعد وفاة حافظ الأسد في العام ٢٠٠٠، تولّى نجله بشار الأسد السلطة بعد تعديل الدستور لخفض الحد الأدنى للسّن لتولّي منصب الرئاسة من ٤٠ إلى ٣٤ عامًا. لم يكن بشار الأسد في البداية على خطّ الرئاسة إذ كان من المفترض مبدئيًا أن يخلف شقيقه الأكبر، باسل، الرئيس حافظ الأب. إلا أنّ بشار الذي كان يدرس طب العيون في لندن في ذلك الوقت، أصبح هو وليّ العهد بعد وفاة باسل الأسد في حادث سيّارة عام ١٩٩٤.



الرئيس السوري بشار الأسد .
المصدر: شاترستوك / هارولد اسكالونا

خلال السنة الأولى من رئاسته، أمل الكثيرون أن يكون بشار الأسد ليبراليًا، بدلاً من أن يسير على خطى والده الديكتاتوري. خلال الأشهر الأولى من حكمه، شدّد على مفهوم الشفافية. فاستشعر العديد من دعاة حقوق الإنسان والسياسيين فرصة لرفع أصواتهم في سوريا مطالبين بمزيد من الحريات والإصلاح السياسي.

نشأ عدد من المجموعات غير الرسميّة من خلال تنظيم اجتماعات في منازل خاصة لمناقشة حقوق الإنسان ومبادرات الإصلاح.

سمح المسؤولون لهذه المنتديات بأن تنعقد، ممّا أدى إلى زمن انفتاح نسبي عُرف باسم «ربيع دمشق»^{١٠}.

إلا أنّ فترة التسامح القصيرة هذه للنظام انتهت في أوائل عام ٢٠١١ بهجوم مضادّ على مؤيّدَي الإصلاح، الذين نُعتوا بـ«عملاء للخرب هدفهم الوحيد تقويض الاستقرار الداخلي السوري في خدمة أعداء الدولة». لقام نظام الأسد الجديد بقمع أولئك الذين طالبوا بإحراز تقدم، وسحق الحركات المؤيدة للديمقراطية وحقوق الإنسان. في غضون شهر، اعتقل المسؤولون السوريون ١٠ شخصيات سياسية، بما فيهم نائبين في البرلمان، وقمعوا جماعات المجتمع المدني. منذ ذلك الحين، سار بشار الأسد على خطى والده من حيث الحدّ من الحريّات والاعتقال المنتظم للنشطين السياسيين ودعاة حقوق الانسان.

٩ مجزة حماه (شباط ١٩٨٢) إبادة وجرم ضد الإنسانية. اللجنة السورية لحقوق الانسان.

[aspx.2535/http://www.shrc.org/data.aspx/d5/20130522172157/https://web.archive.org/web](http://www.shrc.org/data.aspx/d5/20130522172157/https://web.archive.org/web)

(آخر تحديث في ١٤ شباط ٢٠٠٦)

١٠ كارنغي للشرق الأوسط (1 نيسان 2012) ربيع دمشق، مالكوم ه. كير <https://carnegie-mec.org/diwan> <https://carnegie-mec.org/diwan?lang=en?48516>

١١ ربيع مزيف في دمشق. لايل زيسر. جامعة تل أبيب ٤٤. ٣٩-٦١

https://www.researchgate.net/publication/A_false_spring_in_Damascus_297949378

بداية الصراع

غالبًا ما يُشار إلى تاريخ ١٥ آذار ٢٠١١ على أنه تاريخ انطلاق الثورة السورية. بدأ الصراع المسلح في الظهور في أوائل العام ٢٠١٢ وكان تنويجًا لعوامل جيوسياسية واجتماعية سياسية معقدة، في المنطقة كما في الداخل السوري تحديداً.

حضر أول مظاهرة احتجاجية في ٩ شباط ٢٠١١ ، مستعيدًا ذكرى حماسة التجمّع مع أكثر من خمسة أشخاص لشيء آخر غير الصلاة أو مباراة كرة القدم - «تجربة غير مسبوقه».

في كانون الثاني ٢٠١١ في تونس، انتحر بائع متجول تونسي يدعى محمد البوعزيزي بعد أن تعرّض للمضايقات من قبل الشرطة على مدى سنوات. التضحية بالنفس حتى الموت أثارت احتجاجات مناهضة للنظام في جميع أنحاء البلاد، في تونس أولاً ثم لاحقًا في دول أخرى من الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. أصبحت ظاهرة التظاهرات الجماهيرية هذه تعرف بالربيع العربي.^{١٥} اختلف حجم الاحتجاجات ونطاق مطالب المتظاهرين بين البلدان، وكذلك النتائج النهائية للتحركات. وافقت بعض الحكومات على التغييرات السياسية بينما بقيت الحكومات الأخرى على حالها بالاجمال. ففي تونس مثلاً ، تمّت الإطاحة بزین العابدين بن علي في العام ٢٠١١ ، وشهدت البلاد بعدها انتخابات مرتين كما جرى فيها أول مناظرات رئاسية في تاريخها في العام ٢٠١٩.^{١٦} كما شهدت مصر الإطاحة بحكومتين - حكومة حسني

مبارك في العام ٢٠١١ ، تلتها احتجاجات وانقلاب عسكري^{١٧} ليحل محلّ الرئيس آنذاك محمد مرسي في العام ٢٠١٣ ، وبعد ذلك تولّى اللواء عبد الفتاح السيسي السلطة في العام ٢٠١٤ وحل النظام القمعي العنفي في البلاد. أما ليبيا واليمن فقد انزلت منذ ذلك الوقت نحو صراعات واسعة النطاق.

في سوريا ، أدّت سنوات القمع السياسي والصعوبات الاقتصادية الى عدم المساواة بين أفراد الطبقة العليا ممّن لهم صلات بالنظام وبين المواطنين العاديين فنتج عن ذلك توتر في المجتمع. وقد عبّر أحمد حلمي المدافع السوري عن حقوق الإنسان عن القمع الشديد في سوريا وكونه عائقاً أمام تنظيم الاحتجاجات. تمّ تقييد حرية التجمّع بشكل صارم لدرجة أنه قبل العام ٢٠١١ ، كان المراهقون يخشون مجرّد الخروج ليلاً خوفاً من الاعتقال. حضر أول مظاهرة احتجاجية في ٩ شباط ٢٠١١



أحمد حلمي متكلماً في حدث جانبي للاتحاد الأوروبي في بروكسل في آذار ٢٠١٩. مصدر الصورة: الشبكة الدولية لضحايا الانتهاكات الجسدية لحقوق الإنسان والناجين منها (INOVAS).

١٥ إيرين بلاكمور ، ما هو الربيع العربي وكيف انتشر ؟

Nat'l Geographic (Mar. 2019 , 29), <https://www.nationalgeographic.com/culture/.topics/reference/arab-spring-cause>

١٦ تونس تبت أول «مناظرة كبيرة» قبل الانتخابات الرئاسية ، فرنسا ٢٤ (٨ سبتمبر ٢٠١٩ ، ١٠:٥٨ صباحاً)

<https://www.france24.com/en/tunisia-airfirst-20190908>

١٧ يفهم الانقلاب على أنه حالة يتم فيها عزل الرئيس التنفيذي فجأة أو فجأة من منصبه عن طريق العنف أو الإكراه ، في انتهاك واضح للإجراء الدستوري لعزل الرئيس التنفيذي. انظر خافيير الحاج ، تحت أي ظروف قد تطبق منظمة الدول الأمريكية. شرط لديمقراطية ضد دولة عضو؟ مؤسسة حقوق الإنسان ، في 4 (31 مارس 2010) <https://ssrn.com/>

مستعيدا ذكرى حماسة التجمّع مع أكثر من خمسة أشخاص لشيء آخر غير الصلاة أو مباراة كرة القدم - «تجربة غير مسبوقة»^{١٨}.

شارت مريم الحلاق ، المدافعة عن حقوق الإنسان السورية وأمّ أحد المحتجزين المختفين، إلى مدى الغرابة في رؤية أشخاص يتكلمون علناً، مع تطوّر شكل الاحتجاجات، في حين كان هذا الخطاب ممنوعاً لفترة طويلة^{١٩}. بحلول أوائل ربيع العام ٢٠١١ ، حدث تحوّل بحجم الزلزال في مسار الاحتجاجات في سوريا. في درعا - وهي مدينة في المنطقة الجنوبية من سوريا - اعتُقلت مجموعة من أطفال المدارس في ٢٢ شباط لقيامهم برسم شعارات مناهضة للنظام على جدران مدرستهم، بما فيها شعار الربيع العربي المعروف "الشعب يريد اسقاط النظام «و» حان دورك يا دكتور» (في إشارة إلى بشار الأسد).^{٢٠} تم اعتقال التلامذة وتعذيبهم من قبل النظام في فرع

الأمن السياسي برئاسة عاطف نجيب ابن عم بشار الأسد. في ١٥ آذار خرجت مظاهرة وسط سوق دمشق القديم للمطالبة بإصلاحات سياسية وإنهاء الفساد الناجم عن اعتقال الطلاب. وبعد ثلاثة أيام، نُظّم اعتصام في درعا للمطالبة بإطلاق سراح الأطفال المحتجزين.

ردّت القوات الأمنية بإطلاق النار على المتظاهرين، مما أسفر عن مقتل ثلاثة وإصابة الرابع الذي قضى في اليوم التالي. ونتيجة لذلك، نما حجم المظاهرات، وأصبحت قصة أطفال مدارس درعا نقطة انعطاف،



Syrian Freedom (CC BY 2.0) مظاهرة ضد النظام ، يحمل فيها المتظاهرون الورود في بانياس. 6 أيار 2011. المصدر: سيرين فريدم

مما حفّز الحركة الاحتجاجية في درعا والمدن السورية.^{٢١} يتذكر عمر الشخري البالغ من العمر ١٥ عاماً حماسته للانضمام الى المتظاهرين وفي آن واحد عدم ادراكه الصورة الكاملة للظلم الذي يحدث حيث كان من غير المألوف بالنسبة للسوريين معالجة هذه المواضيع من قبل.^{٢٢} في نهاية المطاف، أدّت «الحاجة الماسّة في أن يشارك أحدنا بشيء مهم جداً» إلى سلسلة متتالية من الأحداث الصادمة ، بما في ذلك اعتقاله سبع مرات .^{٢٣}

١٨ مقابلة مع أحمد حلمي 23 نوفمبر 2020

١٩ مقابلة مع مريم الحلاق، الحاشية ٦ أعلاه

٢٠ أفي أشرف شابيرو ، الشباب الذين أطلقوا الثورة السورية يتحدثون عن درعا ، حيث بدأ كل شيء ، فايس نيوز (15 آذار 2016 ، 9:30 صباحاً)

<https://www.vice.com/en/article/qv5eqb/the-young-men-who-started-syrias-revolution-speak-about-daraa-where-it-all-began>

٢١ هيو ماكليود ، سوريا: كيف بدأ كل شيء ، العالم (23 أبريل 2011 ، 2:09 صباحاً بتوقيت شرق الولايات المتحدة) .

AM EST), <https://www.pri.org/stories/world/meast/syria-crisis-beginnings/01/03/2012/www.cnn.com/index.html>

في آخر شهر آذار ، كان ردّات فعل نظام الأسد على المظاهرات غير متجانسة بعد. قام النظام ببعض المحاولات المبكرة لتهدئة المتظاهرين، الذين كانوا يطالبون بإطلاق سراح السجناء السياسيين، واحترام الحقوق المدنيّة، ووضع حد للفساد الحكومي، والغاء قانون الطوارئ القائم منذ العام 1963، ومحاسبة ضباط الأمن المسؤولين عن إطلاق النار على المتظاهرين وقتلهم.^{٢٤} في نيسان ألغى قانون الطوارئ^{٢٥} وفي أيار، صدر عفو أدّى إلى إطلاق سراح البعض القليل من السجناء السياسيين والسلفيين الراديكاليين، والذي تبين فيما بعد انتماء بعضهم إلى جماعات متطرفة.^{٢٦}

لقد ساهم نظام الأسد عمداً في صعود الجماعات الجهاديّة المتطرّفة في سوريا. وحين جوبه باحتجاجات ٢٠١١ ، دبّر عمداً حملة ضد التطرّف ، أطلق فيها سراح مقاتلين جهاديين كانوا في الاعتقال، وأعطى الأولويّة للقضاء على الحركات السلمية غير العنيفة بينما سمح لخلايا إرهابية بالعمل دون رقيب.^{٢٧} وقد أدّى ذلك إلى خلق ديناميكية تسمح للأسد بأن يظهر وكأنه حليف دائم في الصراع ضد المتطرّفين وليس ضد دعاة الديمقراطية. هذه الجماعات الجهاديّة تعمل في مواجهة الأسد ،



مسلحون من داعش يتظاهرون في الرقة. المصدر: صوت اميركا

ويتشارك العديد منها هدف إقامة دولة إسلامية، على الرغم من وجود حالات تتعاون فيها مع النظام أيضاً.^{٢٨} من أبرز تلك الجماعات تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وجبهة النصرة ، التي جانب مجموعات أخرى نشطة في البلاد.^{٢٩}

واصلت قوات الأمن الرد على الاحتجاجات بعنف قاتل، وسرعان ما أصبح واضحاً أن النظام يعتزم سحق كل المعارضة بدلاً من الاستسلام. استخدمت قوات الأمن الغاز المسيل للدموع والذخيرة الحية في محاولات لقمع المسيرات، وسرعان ما انتشرت القوات العسكرية والدبابات والمروحيات والطائرات المقاتلة.^{٣٠} قتل الآلاف وتعرّضت أعداد هائلة أخرى للاعتقال والتعذيب والقتل.^{٣١}

٢٢ مقابلة مع عمر الشغري (31 كانون الثاني 2022)

٢٣ عمر الشغري. « نجوانم سجون الأسد وسوف نعيد بناء سوريا ». الجزيرة (15 آذار 2021) <https://www.aljazeera.com/features/15/3/2021>

٢٤ ضباط يطلقون النار على الحشد مع تزايد الاحتجاجات السورية ، نيويورك تايمز (20 مارس 2011) <https://www.nytimes.com/2011/03/21/world/middleeast/21/03/2011>

٢٥ احتجاجات سوريا: الأسد يرفع حالة الطوارئ ، بي بي سي (20 نيسان 2011) <https://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-13134322>

٢٦ سايمون سيكيان كوردال ، كيف ساعد الأسد السوري في تشكيل داعش ، نيوزويك (21 يونيو 2014 ، 12:40 مساءً بتوقيت شرق الولايات المتحدة) الاضطرابات السورية: إطلاق سراح السجناء السياسيين بعد الاحتجاجات ، بي بي سي (26 آذار 2011) <https://www.bbc.com/news/world-middleeast-12870679>

٢٧ كريستوفر فيليبس ، العالم حرض على انتصار الأسد في سوريا ، الأطلسي (4 آب 2018) <https://www.theatlantic.com/international/archive/566522/assad-victory-syria/08/2018>

٢٨ آرين بيكر ، هل نظام الأسد في تحالف مع القاعدة؟ ، الزمان (27 كانون الثاني 2014) <https://world.time.com/syria-assad-geneva-al-qaeda/27/01/2014>

٢٩ المعارضة السورية المسلحة: نظرة عامة موجزة ، مركز مالكوم هـ. كير كارنيغي للشرق الأوسط - آخر زيارة 2022 آذار 25 <https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/lang=ar&50896=fa>

٣٠ سوريا: مدهامة في ريف دمشق مع تحدٍ للقمع ، بي بي سي (15 أيار 2011) <https://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-13291358>

٣١ أنطوني شديد ، المتظاهرون السوريون ، سلميون في الغالب ، بدأوا باللجوء إلى العنف ، نيويورك تايمز (16 أيلول 2011) <http://www.nytimes.com/world/middleeast/at-least-six-protestors-killed-in-syria.html/17/09/2011>

في مدينة داريا ، مسقط رأس أحمد حلمي، كانت الاحتجاجات سلمية تمامًا خلال الأشهر الستة الأولى من المظاهرات. وقد روى حلمي أن يوم ٢٢ نيسان كان أول يوم ردّ فيه رجال المخابرات والشرطة على المتظاهرين بالذخيرة الحية في داريا. وعلى الرغم من ظهوره عاري الصدر للدلالة على أنه غير مسلح ،

حوصرت درعا «مهد

الثورة» حينها وقطعت

عنها الإمدادات والأدوية

والاتصالات، وذبح عدد لا

يحصى من المدنيين ، بما

فيهم الأطفال، على أيدي

العسكريين والقناصة.

أطلق أحد القناصين النار صوب وجهه مما استدعى إجراء خمس عمليات جراحية ترميمية له وأربعة أشهر من إعادة التأهيل.^{٣٢} حوصرت درعا «مهد الثورة» حينها وقطعت عنها الإمدادات والأدوية والاتصالات، كما ذبح عدد لا يحصى من المدنيين، بما فيهم الأطفال، على أيدي العسكريين والقناصة.^{٣٣}

مع اشتداد القمع العنفي في صيف ٢٠١١، بدأ بعض أعضاء المعارضة بحمل السلاح للدفاع عن أنفسهم ضد النظام ولحماية المحتجين، كما بدأ عناصر من قوات الأمن والجيش بإعلان انشقاقاتهم، رافضين تنفيذ الأوامر بقتل إخوانهم السوريين. رتب النشاط مستشفيات ميدانية حيث

يمكن للمدنيين الحصول على الرعاية الطبية، لأنه كان يتمّ على الفور اعتقال أي شخص يقصد مستشفى عادي وهو مصاب برصاصة أو بشظية.^{٣٤} في أواخر شهر تموز، بدأ المنشقون العسكريون والمقاتلون المدنيون بتشكيل مقاومة مسلحة ضد نظام الأسد.^{٣٥}

التدخل الأجنبي

مع تصاعد النزاع المسلح في سوريا، أصبحت كل الفصائل المقاتلة تقريبًا في سوريا تعتمد على شكل من أشكال الدعم الأجنبي، سواء ببشر القوات أو توفير التدريب أو الإمداد بالأسلحة أو جمع المعلومات الاستخبارية أو الدعم المالي. ونتيجة لذلك، تطوّر الصراع إلى حرب بالوكالة مع قوى إقليمية ووطنية مختلفة تتصادم حول المصلحة الذاتية الجيوسياسية. لقد أصبح التدخل المتزايد للقوى الأجنبية في النزاعات الأهلية، وليس في الحالة السورية حصرًا، «يمثل استمرارًا للسياسة بوسائل أخرى». وعليه، فإن تدويل النزاعات الأهلية يعقّد التسوية السياسية، ويقلل من حوافزها، ويضعف آليات المساءلة، ويقوّي دوافع الإفلات من العقاب.^{٣٦}

^{٣٢} مقابلة مع أحمد حلمي. الحاشية 18 أعلاه

^{٣٣} احتجاجات سوريا: مجموعة حقوقية تحذر من «مجزرة درعا» ، بي بي سي (5 أيار 2011) <https://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east13299793->

^{٣٤} هيومن رايتس ووتش ، سوريا: ارفعوا حصار درعا(5 أيار 2011 ، 8:58 مساءً بالتوقيت الشرقي) <https://www.hrw.org/news/05/05/2011/syria-lift-siege-darqa>

^{٣٥} مقابلة مع أحمد حلمي. الحاشية 18 أعلاه
من الجنود المنشقون شكلوا الجيش السوري الحر Nat'1 Pub. راديو (20 أيلول 2012 ، 4:00 صباحًا بالتوقيت الشرقي) <https://www.npr.org/157087563/20/07/2012/an-update-on-the-syrian-free-army>

^{٣٦} محاضرة في مجلس العلاقات الخارجية من قبل الرئيس والمدير التنفيذي للجنة الإنقاذ الدولية ديفيد ميليباند (15 ديسمبر 2021) [https://www.rescue.org/press-release/david-morse-lecture-council-foreign-relations-president-and-ceo-\(2021](https://www.rescue.org/press-release/david-morse-lecture-council-foreign-relations-president-and-ceo-(2021)
[international-rescue](https://www.rescue.org/press-release/david-morse-lecture-council-foreign-relations-president-and-ceo-(2021)

حلفاء نظام الأسد

إنّ الحليفتين الرئيسيتين لنظام الأسد هما روسيا وإيران. فقد زوّدتاه بالمرتزقة وبالأسلحة منذ بدء القتال، روسيا دخلت رسمياً في الصراع نيابة عن نظام الأسد في العام ٢٠١٥، وقد صدر تقرير للأمم المتحدة نُشر في كانون الثاني ٢٠٢٠ عن لجنة التحقيق الدولية المستقلة بشأن الجمهورية العربية السورية يشير أن القوات الروسية مسؤولة عن جرائم حرب. إضافة إلى ذلك، دعمت إيران الأسد والميليشيات الموالية للنظام، وقدمت التدريب والدعم الفني وساهمت في تجنيد ونشر الميليشيات. كما دعمت إيران حزب الله اللبناني في الصراع وهو حزب سياسي إسلامي شيعي مسلح. فقد دخل حزب الله في الصراع منذ أيامه الأولى موفراً دعماً مهماً جداً لنظام الأسد. إلا أن هذا الدعم تمثل بإنشاء ميليشيات تساند النظام وكذلك مؤسسات موازية، بدلاً من تقديم الدعم المباشر لقوات الأسد. بدون هذا الدعم الخارجي، لكان نظام الأسد على الأرجح تراجع أمام المعارضة منذ بداية الصراع.

بدون هذا الدعم الخارجي ، لكان نظام الأسد على الأرجح تراجع أمام المعارضة منذ بداية الصراع.

٣٧ ماريا بيتكوف ، ما الذي كسبته روسيا من خمس سنوات من القتال في سوريا؟ ، الجزيرة (1 تشرين الأول 2020)

[what-has-russia-gained-from-five-years-of-fighting-in-syria/1/10/2020/https://www.aljazeera.com/features](https://www.aljazeera.com/features/what-has-russia-gained-from-five-years-of-fighting-in-syria/1/10/2020)

٣٨ مندوب من إنديب. لجنة التحقيق الدولية بشأن الجمهورية العربية السورية ، مجلس حقوق الإنسان ، الدورة 43، 24 شباط - آذار. 20، جوليان بورغر ، روسيا ارتكبت جرائم حرب في سوريا ، تقرير الأمم المتحدة. <https://www.theguardian.com/world/2020/mar/02/ru-ia-committed-war-crimes-in-syria-finds-un-report/02/mar/2020/U.N.Doc.A>

٣٩ جينيف عيده ، كيف تبقى إيران الأسد في السلطة في سوريا ، الشؤون الخارجية (25 آب 2001)

<https://www.foreignaffairs.com/articles/iran/25-08-2011>

روث شيرلوك ، إيران تعزز دعمها لسوريا ، تلغراف (21 شباط 2014 ، 3:44 مساءً)

<https://www.telegraph.co.uk/news/world-news/middle-east/iran-iran-boosts-support-to-syria.html/10654144>

٤٠ ناففار سابان ، حقائق: النفوذ والوجود الإيراني في سوريا ، المجلس الأطلسي (5 تشرين الثاني 2020) <https://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource>

٤١ المرجع نفسه

٤٢ المرجع نفسه

٤٣ مهند حاج علي ، نقاط القوة ، تحديد العلاقة بين سوريا وحزب الله ، مالكولم إتش كير مركز كارنيغي الشرق الأوسط. (29 آذار 2019)

<https://carnegie-mec.org/78730-power-points-defining-syria-hezbollah-relationship-pub/29/03/2019>

دعم المعارضة

دعم تحالف دولي فصائل المعارضة إلى حدّ كبير، باعتباره جزء من جهود مكافحة الإرهاب. قادت الولايات المتحدة الردّ في المقام الأول، ونشرت قوّات في سوريا في العام ٢٠١٥، وكانت قد قدّمت سابقاً أشكالاً أخرى من الدعم، بما فيها الأسلحة وال ضربات الجوية.^{٤٤} كان هذا الردّ مدعوماً من المملكة المتحدة^{٤٥} ومن فرنسا.^{٤٦} كما كانت تركيا متورّطة في الصراع على طول الحدود التركيّة السوريّة، وقد أعلنت الحرب علناً في آذار ٢٠٢٠ ضد الأسد^{٤٧} ردّاً على هجوم سوريا مدعوم من روسيا على القوات التركيّة.

كما تدعم الدول الأعضاء في جامعة الدول العربيّة المعارضة السوريّة، رغم افتقارها إلى نفوذ كبير.^{٤٨} فقد علقت الجامعة عضوية سوريا منذ بداية الصراع، على الرغم من عدم السماح للمعارضة بالمشاركة الكاملة في الجامعة. وقد فشل بعض حلفاء الأسد في إعادة قبول سوريا في العام ٢٠١٨.^{٤٩}

طوال الصراع، ظل شيء واحد واضحاً: وهو إن حلفاء المعارضة الدوليّين ليسوا متماسكين وليس لديهم وزن حلفاء النظام، وقد تم وصفهم في أحسن الأحوال بأنهم «فوضى مبعثرة» تسمح لنظام الأسد بالحفاظ على احتكاره للسلطة والسيطرة على الدولة وعلى مؤسساتها.^{٥٠}

٤٤ جدول زمني لتدخل الولايات المتحدة في الصراع السوري . أسوشيتد برس (11 يناير 2019)

<https://apnews.com/article/96701a254c5a448cb-f14ab697419b253>

٤٥ إيلزابيث بايبر وكايلى ماكليان ، البرلمان يصوت على قصف تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا ، رويترز (2 ديسمبر / كانون الأول 2015 7:15 مساءً) <https://www.reuters.com/article/middleeast/france-isis-bombing/index.html> / المملكة المتحدة-الشرق الأوسط-الأزمة-سوريا-بريطانيا / البرلمان-أصوات-لقنبلة-دولة-إسلامية-في-سوريا-idUKKBN0TK4QO20151203

٤٦ بن برومفيلد ومارغو حداد ، فرنسا تشن غاراتها الجوية الأولى ضد داعش في سوريا ، سي إن إن (27 أيلول 2015 ، 7:09 مساءً بتوقيت <http://www.cnn.com/middleeast/syria-france-isis-bombing/index.html/27/09/2015>)

٤٧ كارلوتا غال ، تركيا تعلن هجوماً كبيراً ضد الحكومة السوريّة ، نيويورك تايمز (1 آذار 2020)

<https://www.nytimes.com/world/01/03/2020/assault.html> / تركيا-سوريا

٤٨ جو ماكرون ، المحاولة العربيّة الصامتة لاستعادة النفوذ في سوريا ، المركز العربي. واشنطن (18 آذار 2020) <http://arabcenterdc.org/policy> / تحليلات / الصامتة-العربيّة-محاولة-استعادة-التأثير-في-سوريا /

٤٩ جوناثان ماسترز ومحمد علي سيرجي ، جامعة الدول العربيّة ، مجلس العلاقات الخارجية (19 شباط 2020 ، 7:00 صباحاً بتوقيت شرق الولايات المتحدة) <https://www.cfr.org> معلومات أساسية / الدوري العربي.

٥٠ خضر خضور ، قبضة نظام الأسد على الدولة السوريّة ، مالكولم هـ. كير كارنيغي مركز الشرق الأوسط. (8 تموز 2015) <https://www.carnegie-mec.org/60608-assad-system-s-Hold-on-syrian-state-pub/08/07/2015>

حالة الصراع في العام ٢٠٢٢

في أيار ٢٠٢١ ، عزّز نظام الأسد سلطته في انتخابات رئاسية لم تكن حرّة ولا نزيهة. تم انتخاب الأسد لولاية رابعة بنسبة ٩٥,١٪ من الأصوات.^{٥١} مع الفترة التي سبقت الانتخابات تميّز نظام الأسد بالقمع لأي معارضة لحكمه، وذلك بشكل منهجي واستراتيجي .

بعد ١١ عامًا من اندلاع الربيع العربي في سوريا ، لا يزال الصراع الطويل مستمرًا، مما تسبّب في أزمة إنسانية عالمية. يُقدّر عدد القتلى الذين سقطوا اعتبارًا من أواخر ٢٠٢٢ بأكثر من ٦٠٦,٠٠٠ ضحية، منها ٢٢٨,٦٤٧ مدنيًا ، من بينهم ٢٩٧٤١ طفلًا دون سن ال ١٨.^{٥٢} أكثر من ٦,٦ مليون سوري أصبحوا لاجئين و ٦,٧ مليون نازح داخليًا ، مما جعل من سوريا ^{٥٣} أكبر أزمة للاجئين في العالم. نظام الأسد الذي يستخدم السيادة كدرع يقيه التدقيق، يستخدم أيضا أزمة النزوح كفرصة لإعادة تشكيل التركيبة السكانية داخل البلاد ^{٥٤}

فيمنع عودة اللاجئين بشكل استراتيجي إلى المناطق الرئيسية من أجل ضمان متابعة احكام قبضة النظام على السلطة. تاريخيًا ، كان النظام قادرًا على التلاعب بنتائج الانتخابات واستخدامها كوسيلة لتعزيز مصالحه وتعزيز سلطته. ^{٥٥} في الانتخابات الأخيرة التي جرت في العام ٢٠٢١ ، تمّ التصويت فقط في أجزاء من سوريا خاضعة لسيطرة الحكومة، أيّ انْهتَرَك الملايين من المواطنين الذين يعيشون في المحافظات التي تسيطر عليها المعارضة،



مخيم أطما للاجئين في سوريا. المصدر: شاترستوك

مثل إدلب، وقوات سوريا الديمقراطية المدعومة من الولايات المتحدة في الشمال الشرقي غير ممثلين على الرغم من أنهذه المناطق تُشكّل في الواقع، حوالي ثلث البلاد. ^{٥٦}

^{٥١} السوريين صوتون في انتخابات يقول الأوروبيون والأمريكيون إنها ليست حرّة ولا نزيهة ، راديو فرنسا الدولي (26 مايو 2021 ، 9:00 صباحًا) <https://www.rfi.fr/en> دولي / 20210526-سوري-صوت-في-انتخاب- أن الأوروبيين-نقول-ليس-حرًا- ولا عادلة.

^{٥٢} قتل أكثر من 606000 شخص في جميع أنحاء سوريا منذ بداية «الثورة السورية» ، بما في ذلك 495000 شخص وثقهم النظام السوري. مرصد حقوق الانسان. في اليوم العالمي لحقوق الإنسان: سلب ملايين السوريين «حقوقهم» و 593 ألف قتيل خلال عقد. المرصد السوري لحقوق الإنسان (9 كانون الأول 2020) <https://www.syriahr.com/en> 195385

^{٥٣} الشبكة السورية لحقوق الإنسان التي توثق فقط القتلى المدنيين و فقط ما يتم تسجيله ، يوثق مقتل 228.647 مدنيًا على يد أطراف النزاع والمراقبين. القوات في سوريا من آذار 2011 إلى بداية آذار 2022. إحصائيات عام 2021: رسوم بيانية تفاعلية للضحايا المدنيين في سوريا الشبكة السورية لحقوق الإنسان <https://snhr.org> (آخر زيارة في 25 مارس 2022) ؛ الشبكة السورية لحقوق الإنسان (1 آذار 2022).

^{٥٤} إبراهيم أبو أحمد ، قانون الأسد 10: إعادة تشكيل التركيبة السكانية في سوريا ، واشنطن إنست. لسياسة الشرق الأدنى (14 سبتمبر 2018) <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/assads-law-reshaping-syrias-demographics-10>

^{٥٥} إليزابيث تسوركوف ، نعم ، فاز الأسد بإعادة انتخابه الأسبوع الماضي. لكن الانتخابات السورية تخدم غرضًا آخر ، واشنطن بوست (1 يونيو 2021 ، 7:00 صباحًا بتوقيت شرق الولايات المتحدة) <https://www.washingtonpost.com/politics/yes-assad-won-reelection-last-week-syrias-elections-serve-another-purpose/01/06/2021/>

^{٥٦} روث شيرلوك ، الانتخابات السورية تظهر مدى قوة الأسد ، نائل بوب. راديو (27 مايو 2021 ، 5:49 مساءً بالتوقيت الشرقي) <https://www.npr.org> المنظمة / 1000503282/26/05/2021 سوريا-انتخابات-رئاسية -2021-الأسد - فترة رابعة.

بالإضافة الى ذلك، لم يتمكّن الآلاف من اللاجئين والمغتربين السوريين من التصويت إذا لم يكن لديهم ختم خروج على جوازات سفرهم. في هذا السياق، لم تسمح البيئة الانتخابية بأية منافسة وازنة، مما جعل الانتخابات غير حرّة وغير عادلة حسب المعايير الديمقراطية.^{٥٧}



بشار الأسد وزوجته يدلان بصوتهما في انتخابات ٢٠٢١ الرئاسية. مصدر الصورة: رويترز

قُبيل الانتخابات الرئاسية ، أطلق نظام الأسد سراح أكثر من ٤٠٠ موظفاً مدنياً بالإضافة الى صحفيين ومحامين وقضاة كانوا قد اعتُقلوا لانتقادهم النظام على وسائل التواصل الاجتماعي. كان الإفراج عن المحتجزين وغيرهم من السجناء السياسيين بموجب قوانين الجرائم

الإلكترونية الصارمة، بمثابة خطوة من قبل نظام الأسد لجعل الانتخابات أكثر مصداقية. ومع ذلك ، فقد استثنى عشرات الآلاف من شخصيات المعارضة المسجونين دون محاكمة ولسنوات عديدة للاشتباه في وفاتهم.^{٥٨} بالرغم من الصراع الدائم منذ ١١ عاماً، لا يزال النظام السوري متمكناً من التأثير على نتائج الانتخابات لصالحه ممّا يدلّ على قدرته بأن يحافظ على سلطته في حكم البلاد .

مع الدعم الروسي والإيراني وفي ظلّ عدم التدخل العسكري الملتزم من جانب المعارضة، يبقى من غير المرجّح أن يسقط نظام الأسد. فالقوات الموالية للنظام تسيطر اليوم على غالبية الأراضي السورية، بينما خسرت قوات المعارضة. ومع ذلك، فإن النصر المباشر للنظام لا يزال بعيد المنال، وان كان ممكناً فسيتمّ تحقيقه بتكلفة باهظة للغاية.^{٥٩} وبالرغم من تراجع سيطرة قوات الجهاديين مثل داعش على مناطق كثيرة من البلاد، فهم لا يزالون يشكلون خطراً حقيقياً لدوام العنف، والقتال لا يزال مستمراً^{٦٠}

٥٧ راديو فرنسا الدولي ، الحاشية 51 أعلاه

٥٨ سليمان الخالدي ، سوريا يطلق سراح المئات من منتقدي وسائل التواصل الاجتماعي قبل الانتخابات ، رويترز (11 مايو 2021 ، 12:30 ظهرًا بتوقيت شرق الولايات المتحدة) كوم / العالم / الشرق الأوسط / سوريا-النشرات-مئات-مواقع التواصل الاجتماعي-النقاد-قبل الانتخابات-2021-05-11-11:30:30. <https://www.reuters.com>

٥٩ ستيفن أوكوك ، أهم النزاعات التي يجب مراقبتها في عام 2021: ما هو التالي بالنسبة لسوريا ، مجلس العلاقات الخارجية (21 كانون الثاني (يناير) 2021 ، الساعة 12:30 ظهرًا بتوقيت شرق الولايات المتحدة) ،

<https://www.cfr.org> المدونة / whats-next-syria-2021-Top-Conflicts-watch

٦٠ دعم السلام في سوريا ، مركز كارتر ، https://www.cartercenter.org/peace/conflict_resolution/syria-conflict-resolution.html#reports



اللجوء الى
الاعتقال
والتعذيب
والاخفاء القسري

الاعتقال والتعذيب في ظل نظام الأسد



حافظ الأسد.

المصدر: ويكيبيديا كومنز

بدأت عمليات الاعتقال والتعذيب والاختفاء التعسفي لقمع المواطنين السوريين قبل الربيع العربي والصراع المسلح. كان حافظ الأسد المهندس الأساسي لنظام الاعتقالات التابع للدولة، والذي احتجز ما يُقدَّر بـ ١٧,٠٠٠ شخصاً في السجون على مدى عقود من الحكم قام نظامه خلالها بقمع أي ناقد أو مؤيد أو أي منشق مزعوم، وقد تم استخدام التعذيب لانتزاع الاعترافات منهم.^{٦١} أمّا بشار الأسد فقد ورث الممارسات نفسها وحافظ عليها.^{٦٢} وقد شكّل اعتقال أطفال المدارس وتعذيبهم في درعا دافعاً لمظاهرات ٢٠١١، مع أنها لم تكن حالة فريدة في ذلك الوقت.

أربعة أجهزة مخابرات تتحمّل مسؤولية الإشراف على جهاز التعذيب المنهجي الذي تديره الدولة: المخابرات الجوية، والمخابرات العسكرية، والمخابرات السياسية،^{٦٣} والمخابرات العامة. يصعب فهم المهام الدقيقة لكل من هذه المديرية، لأن سلطاتها متداخلة وتعمل في سرية، وتتولى المراقبة والاستخبارات العسكرية والمدنية على حد سواء. كل منها تدير الفروع الخاصة التابعة لها، وتشكل شبكة من مراكز الاحتجاز ذائفة الصيت.^{٦٤}



بشار الأسد. المصدر: ويكيبيديا كومنز

مقياس وطبيعة منهجية الاعتقال والتعذيب منذ عام ٢٠١١ فصاعداً

عند الاعتقال، يتعرّض المحتجزون لجولات متكرّرة من الضرب والتفتيش البدني الحميم وغيرها من أساليب الاستجواب اللاإنسانية والتي تبدأ على الطريق أثناء انتقالهم إلى مراكز الاحتجاز أو السجون، وذلك كجزء من «حفلة ترحيب» تتّصف بسوء المعاملة. أما شروط العيش داخل المراكز فغالبًا ما تكون غير إنسانية، في زنانات مكتظة ومليئة بالفئران بالإضافة الى الشخّ في الطعام والماء، وانعدام الرعاية الطبية.

٦١ أن برنارد ، داخل سجون التعذيب السرية في سوريا: كيف سحق بشار الأسد المعارضة ، نيويورك تايمز (11 أيار 2019) <https://www.nytimes.com/world/middleeast/syria-prisons.html/11/05/2019>

٦٢ نفس المرجع

٦٣ هيومن رايتس ووتش ، سوريا: الكشف عن مراكز التعذيب (3 تموز 2012 ، 4:32 مساءً بتوقيت شرق الولايات المتحدة) <https://www.hrw.org/news/2012/07/03/syria-torture-centers-revealed>

٦٤ نفس المرجع

٦٥ منظمة العفو الدولية ، الاعتقال في سوريا <https://saydnaya.amnesty.org/en/detention-in-syria.html> (آخر زيارة في 25 آذار 2022) محمد بيروتى وأمينة صوان ، كنت هناك ، «النساء الآن من أجل التنمية» ، يوتيوب ، الساعة 1: 45-2: 35 (8 أيلول 2021) ووصف معتقلون سابقون «حفلة الترحيب» بأنها الفترة الممتدة من لحظة الاعتقال حتى انتهاء التفتيش البدني وضباط السجن <https://www.youtube.com/watch?v=6GWCpupc-v-tb>

٦٦ الأمم المتحدة ، مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان ، الجراح المفتوحة: التعذيب والمعاملة المرضية في سوريا

Open Wounds: Torture and Ill-treatment in the Syrian Arab Republic (14 أبريل / نيسان 2014) ، <https://www.wohchr.org/Documents/Countries/SY/PaperOnTorture.pdf>

تُستخدم أساليب متنوعة لتعذيب المحتجزين، بما فيها - على سبيل المثال لا الحصر - ضربه مغالبًا بالأنايب أو الأسلاك أو الخراطيم، والصعق بالكهرباء، والحرمان من النوم، والأوضاع الجسدية المرهقة، فضلاً عن العنف الجنسي والعنف القائم على هوية السجين الجنسية والاجتماعية.^{٦٧} فقد قدّم المركز الأوروبي لحقوق الإنسان (ECCHR) إلى جانب أورانامو وشبكة المرأة السورية شكوى جنائية نيابة عن سبع ناجيات سوريات إلى المدعي العام الاتحادي الألماني في العام ٢٠٢٠، «تستهدف حكومة الأسد الأشخاص بسبب جنسهم المفترض أو بسبب توجههم الجنسي: إناث، ذكور

وأفراد من مجتمع الميم»^{٦٨}. «الهدف السياسي، وفقاً للشكوى المقدمة، هو قمع ومعاقبة الأفراد الذين يُنظر إليهم على أنهم ينتمون إلى المعارضة السياسية من خلال خلق بيئة مستمرة من الخوف وإضعاف المعارضة السياسية والمتضررين بشكل مباشر، ولكن أيضاً اضعاف عائلاتهم والمجتمع السوري ككل.^{٦٩} يقضي العديد من المعتقلين في نهاية المطاف متأثرين بوحشية التعذيب أو يتم نقلهم إلى المحكمة العسكرية الميدانية حيث يمكن اعدامهم خارج نطاق القضاء، مما يترك أسرهم في حالة جهل بشأن مصيرهم الى أن يقوم النظام بتحديث سجلاتهم المدنية.^{٧٠}

وغالبا ما يرغم المعتقلون تحت أمره الحراس وضباط السجن على تعذيب بعضهم البعض. يتذكر حمودي الشعيب وهو معتقل سابق، تلك الوحشية مشيراً إلى أن «مشاهدة الآخرين وهم يتعرضون للتعذيب أو الإجبار على المشاركة في بؤسهم هو عقاب أكثر من كونهم يتعرضون لك»

وقد روى ناجون من مراكز الاعتقال مدى الوحشية في سبل التعذيب والإذلال. يروي الكثيرون فظاعة أن يجبروا على مشاهدة تعذيب الآخرين، وفي بعض الأحيان ان يشهدوا على موتهم، اذ يتعرّض عدد هائل من الضحايا للإصابات أو الجوع أو الانهيار النفسي أو يعانون من مشاكل طبية تبقى دون معالجة.^{٧١} وغالبا ما يرغم المعتقلون تحت أمره الحراس وضباط السجن على تعذيب بعضهم البعض. يتذكر حمودي الشعيب وهو معتقل سابق، تلك الوحشية مشيراً إلى أن «مشاهدة الآخرين وهم يتعرضون للتعذيب أو الإجبار على المشاركة في بؤسهم هو عقاب أكبر من كونهم يتعرضون لك شخصياً»،^{٧٢} ومن أشكال التعذيب أبطا هو ان تُترك جثث المعتقلين المتوفين تحت أعين رفاقهم لأيام عديدة.^{٧٣} يقدر عدد الأفراد الذين تمّ اعتقالهم وتعذيبهم على مدى سنوات الصراع، بين بضع مئات الآلاف والمليون ضحية.^{٧٤}

٦٧ مقال غرفة اجتماعات «فقدت كرامتي»، العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي في الجمهورية العربية السورية، إنديب. لجنة التحقيق الدولية حول الجمهورية العربية السورية، مجلس حقوق الإنسان، الدورة 37، 26 شباط - آذار، 2018 وثيقة الأمم المتحدة. 3.CRP/37/A/HRC (8، 2018)، متاح على:

[pdf.3-CRP-37-https://www.ohchr.org/documents/HRBodies/HRCouncil/ColSyria/A-HRC](https://www.ohchr.org/documents/HRBodies/HRCouncil/ColSyria/A-HRC.pdf.3-CRP-37)

٦٨ ناجون: العنف الجنسي من قبل المخابرات السورية جرائم ضد الإنسانية، المركز الأوروبي. لحقوق الإنسان <https://www.ecchr.eu/en/case/survivors-sexual-violence-by-syrian-intelligence-services-are-crimes-against-humanity> (آخر زيارة 25 مارس 2022).

٦٩ نفس المرجع

٧٠ نفس المرجع

٧١ منظمة العفو الدولية، مسلخ بشري: شنق وإبادة جماعية في سجن سيدنايا، سوريا، مؤسّر منظمة العفو الدولية MDE 2017/5415/24 (2016)

Barnard; https://www.amnestyusa.org/files/human_slaughterhouse.pdf، الحاشية 61 أعلاه

٧٢ مقابلة مع حمودي الشعيب (11 فبراير 2022)

٧٣ مقابلة مع عمر الشغري، في الحاشية 22 أعلاه. روى عمر خلال المقابلة تجربته في السجن حيث ترك في زيارته جثة سجين زميل له متوفي وقد بقيت الجثة أيام قبل أن ياتي الحراس لارتائها وذلك في شكل من أشكال التعذيب النفسي والتخويف المعتمد من قبل النظام.

٧٤ بارنرد. الحاشية 61 أعلاه

كما تستخدم المستشفيات العسكرية كمراكز اعتقال وتعذيب من قبل قوات الأمن. يُنقل المعتقلون من السجون إلى المستشفيات حيث وصف ناجون وشهود الانتهاكات المروعة التي تعرضوا لها بأمر من الحراس والأطباء العسكريين. كما تُستخدم مشارج المستشفيات لمعالجة جثث المتوفين.^{٧٥}

إن اللجوء الى الاعتقال وشتى وسائل التعذيب كان شائعاً قبل العام ٢٠١١، ولكن أحداث الربيع العربي كثفت من استخدامها. وفي نهاية العام ٢٠١١، كان عشرات الآلاف من الأشخاص قد اعتُقلوا وتعرضوا للتعذيب، بينهم رجال ونساء وأطفال وشيوخ.^{٧٦} ومن بين المعتقلين أعضاء في المعارضة، وسجناء سياسيون، ونشطاء حقوقيون، ومنتقدون للنظام، وأيّ شخص يُعتبر أنّ ولاءه للأسد ليس كاملاً.

في العام ٢٠١٨، بدأ النظام وللمرة الأولى يعترف على الملأ بوفاة المئات، وحتى الآلاف، من المعتقلين في الحجز.^{٧٧} في السابق، وثقت منظمات حقوق الإنسان والصحفيون قتل السجناء السياسيين، لا سيما في سجن صيدنايا العسكري الذائع الصيت، حيث نُفذت في سرية الإعدامات الجماعية شنقاً.^{٧٨}

وقد ظهرت تقارير تفيد بأنه منذ أوائل العام ٢٠١٣، بنى النظام محرقة في السجن بهدف إحراق جثث المعتقلين الذين تم إعدامهم وإخفاء العدد الهائل لعمليات القتل.^{٧٩} بحلول العام ٢٠١٨، زادت وتيرة الإعدام بشكل كبير، وأظهرت صور جوية اتساع رقعة المقابر الجماعية وعدد الجثث المنقولة من السجن، كما أفاد الناجون من السجون بزيادة أحكام الإعدام الصادرة عن القضاة العسكريين.^{٨٠}

على الرغم من أن جميع السجناء تقريباً يخضعون لجولات وحشية من الاستجوابات والحرمان وأشكال مختلفة من التعذيب إلا أن أثرها على الأفراد يختلف بحسب جنسهم أو حسب طريقتهم بالتعريف عن هويتهم الجنسية.

^{٧٥} أن برنارد ، داخل سجون التعذيب السرية في سوريا: كيف سحق بشار الأسد المعارضة ، نيويورك تايمز (11 أيار 2019)

^{٧٦} نفس المرجع <https://www.nytimes.com/world/middleeast/syria-prisons.html/11/05/2019/>

^{٧٧} هيومن رايتس ووتش ، سوريا: الكشف عن مراكز التعذيب (3 تموز 2012 ، 4:32 مساءً بتوقيت شرق الولايات المتحدة) <https://www.hrw.org/news/2012/07/03/syria-torture-centers-revealed>

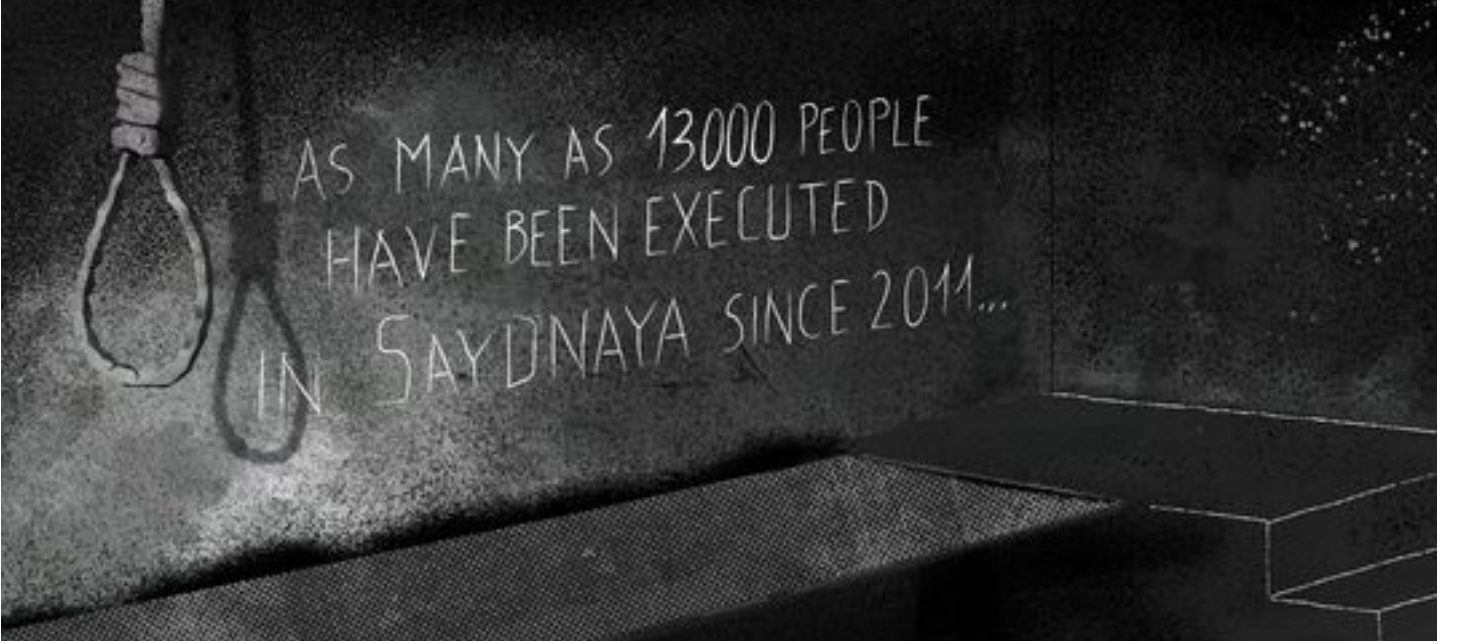
^{٧٨} نفس المرجع

^{٧٩} منظمة العفو الدولية ، الاعتقال في سوريا <https://saydnaya.amnesty.org/en/detention-in-syria.html> (آخر زيارة في 25 آذار 2022)

محمد بيروتي وأمينة صوان ، كنت هناك ، «النساء الآن من أجل التنمية» ، يوتيوب ، الساعة 1:45-2:35 (8 أيلول 2021) ووصف معتقلون سابقون «حفلة الترحيب» بأنها الفترة الممتدة من لحظة الاعتقال حتى انتهاء التفتيش البدني وضباط السجن <https://www.youtube.com/watch?v=6GWCpupc-v=tb>

^{٨٠} الأمم المتحدة ، مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان ، الجراح المفتوحة: التعذيب والمعاملة المرضية في سوريا

<https://www.ohchr.org/Documents/Countries/SY/PaperOnTorture.pdf> ، Open Wounds: Torture and Ill-treatment in the Syrian Arab Republic (14 أبريل / نيسان 2014)



سجن صيدنايا العسكري، المصدر: منظمة العفو الدولية / Forensic Architecture

يُقدَّر عدد الأشخاص الذين تمّ اعتقالهم وتعذيبهم على مدى سنوات الصراع، بين بضعة مئات الآلاف والمليون ضحية



مأخوذة من القمر الصناعي لسجن صيدنايا ، استنادًا إلى منظمة العفو الدولية، ديجيتال غلوب ، ٢٠١٦

العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي وتأثيراته المختلفة على النساء والرجال ومجتمع LGBTQ+

إن شرح العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي معقد بسبب الأشكال المتعددة التي يمكن أن يتخذها بالإضافة إلى خصوصية السياق الذي يمكن أن يقع فيه. فقد سُجل هذا النوع من العنف أثناء مدهمة النظام للمنازل وعند نقاط التفتيش في سوريا، ولكن معظم الحوادث وقعت في مراكز الاحتجاز التي كان يعتمد عليها النظام، الرسمية منها وغير الرسمية.^{٨١} وهي ذات دوافع سياسية تهدف إلى قمع ومعاينة الأفراد الذين يُعتبرون معارضين للنظام وذلك من خلال خلق حالة من الخوف والترهيب.

يتم اللجوء الى وسائل مختلفة من العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي في مراكز الاحتجاز التابعة للنظام وتشمل الاعتداءات الجسدية وغير الجسدية، بما فيها الاغتصاب أو التهديد بالاغتصاب، والتحرّش الجنسي، والتفتيش البدني الحميم، وتشويه الأعضاء التناسلية وكذلك الإجهاض القسري والعري القسري.^{٨٢} وقد استُخدمت هذه الأساليب ضد البالغين كما الأطفال.^{٨٣} إن قوات أمن النظام والميليشيات المتحالفة معه هم الجناة الرئيسيون والمسؤولون عن جرائم العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي وكذلك الجماعات الجهادية مثل داعش.^{٨٤} إن حالات التعذيب المنهجي والواسع النطاق في سوريا موثقة حاليا بشكل جدي، ولكن يبقى مهمّ التأكيد على أن تجارب المعتقلين لا تشبه بعضها البعض. إذ يمكن أن تختلف معاملة وتعذيب المحتجزين حسب

يتم اللجوء الى وسائل مختلفة من العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي في مراكز الاحتجاز التابعة للنظام وتشمل الاعتداءات الجسدية وغير الجسدية، بما فيها الاغتصاب أو التهديد بالاغتصاب، والتحرّش الجنسي، والتفتيش البدني الحميم، وتشويه الأعضاء التناسلية وكذلك الإجهاض القسري والعري القسري. وقد استُخدمت هذه الأساليب ضد البالغين كما الأطفال.

اعتبارات الدين مثلا والانتماء السياسي او الروابط الأسرية او المكان. ويكون التأثير المتباين واضحا بشكل خاص عندما يستند إلى جنس الفرد أو هويته الجنسية أو توجهه الجنسي. فالوصمة الاجتماعية ضد أعضاء مجتمع LGBTQ+ مثلا قاسية إذ أنّ العديد من العائلات والمجتمعات لا تقبل المثلية الجنسية.^{٨٥} وقد تفاقت قضية التمييز الجنسي منذ بداية الصراع.

٨١ مقابلة مع منى زين الدين (4 شباط 2021)

٨٢ جومانا سيف ووجدان ناصيف كلمات ضد الصمت، المركز الأوروبي، للحقوق الدستورية وحقوق الإنسان https://www.ecchr.eu/fileadminPublikationen/WORDS_AGAINST_SILENCE-ENG.pdf

(آخر زيارة 14 مارس 2022)

٨٣ نفس المرجع

٨٤ مقابلة مع منى زين الدين، الحاشية 81 أعلاه

٨٥ عمار الشيخ عمر وبوليا تلمازان، لاجئون سوريون من مجتمع الميم مجبرون على الاختيار بين عائلاتهم وهويتهم، إن بي سي نيوز (6 تشرين الأول 2019، 4:34) <https://www.nbcnews.com/4:34> <https://www.nbcnews.com/news/world/lgbtq-syrian-refugees-forced-chose-between-their-families-identity-n1062446>

وطلاق الشريك الذكر،^{٨٦} والحصول على حق الحضانة على أطفالها، والسفر بحرية دون إذن الشريك الذكر. في مثل هذا المجتمع الأبوي والمتحكم بمصير المرأة، يُنظر إلى ضحية الاعتداء الجنسي أو الاغتصاب على أنه مُسيء لـ «أخلاق الأسرة ولشرفها»، مما يجعل الناجيات من الاعتداء الجنسي يترددن في التحدّث عن تجاربهنّ خوفاً من الرفض أو العقاب من قبل أسرهنّ ومن قبل المجتمع.

نظراً لردّات الفعل المحتملة للمجتمع السوري حيال التّعدي على النساء، بدا أن النظام امتنع في الأشهر القليلة الأولى من الانتفاضة السورية عن معاملة النساء بنفس الطريقة التي يعاقَل بها الرجال في الحجز.^{٨٧} ولكن مع مرور الوقت، عكس النظام مساره وأدخل النساء في المنظومة المنهجية نفسها من سوء المعاملة والتعذيب وذلك لممارسة الضغط ليس فقط على الضحايا أنفسهنّ، بل على محيطهنّ أيضاً.

رويدا كنعان ، المدافعة عن حقوق المرأة السورية التي اعتقلها النظام في السابق ثلاث مرات، قالت في مقابلة مع معدّي هذا التقرير، لو تعرضت للاغتصاب أو الاعتداء الجنسي (وهذا لم يحصل)، لا أرى نفسي أعترف بذلك. ليس لأنني لست قوية، ولكن لأن المجتمع ببساطة لا يرحم.»

في الأسابيع القليلة الأولى من المظاهرات، لاحظت المتظاهرات أنّهنّ يُعاملن بشكل مختلف عن نظرائهنّ الذكور. تروي وفاء مصطفى، المدافعة عن حقوق الإنسان في سوريا، أنه غالباً ما كان يتمّ القُبض او الاعتداء على الرجال فقط بينما يتمّ إطلاق سراح النساء بسرعة بعد الاعتقال. كانت قوَّات الأمن تدرك التأثير الاجتماعي الهائل الذي قد يحدثه اعتقالهنّ. ذات مرة، تمّ القبض على وفاء مصطفى واحتجازها لعدة ساعات في سيارة، قبل تبليغها بأن قوَّات الأمن «لم تحتجز النساء» وأطلق سراحها. في المرات اللاحقة عندما تمّ القبض عليها تعرّضت للضرب بدلاً من التعذيب بالطريقة التي كان يواجه بها رفاقها الذكور. قام المحقّق بقصّ شعرها

كشكل من أشكال الإساءة العاطفية، ورُكِّز في استجوابه على الإهانات المتعلقة بسمعتها، وليس على آرائها السياسية أو نشاطاتها.^{٨٨} أما النساء اللواتي نجين من الاعتداء الجنسي فإنهنّ يلتزمّن كتمان الموضوع خوفاً من أن تتخلّى عنهنّ الأسرة والمجتمع. رويدا كنعان ، المدافعة عن حقوق المرأة السورية التي اعتقلها النظام في السابق ثلاث مرات ، قالت في مقابلة مع معدّي هذا التقرير، لو كنت قد تعرّضت للاغتصاب أو الاعتداء الجنسي (وهذا لم يحصل)، لا أرى نفسي أعترف بذلك. ليس لأنني لست قوية، ولكن ببساطة لأنّ المجتمع لا يرحم.»^{٨٩}

في حين أن العنف الجنسي والعنف والعنف القائم على النوع الاجتماعي المتعلّق بالمرأة يشكّل وصمة عار، فهو يتماهى، بالنسبة للرجال مع احترام الذات والذكورة. بَغض النظر عن هويّتهم الجنسية، فإن عدداً قليلاً جداً من الناجين سوف يشاركون تجربتهم حتى مع أسرهم أو الدوائر المقرّبة. لهذه الأسباب، لم يتمّ الإبلاغ بشكل كامل عن التأثير الحقيقي لجرائم العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي داخل وخارج مراكز الاحتجاز السورية.

٨٦ فريدموم هاوس ، الحرية في العالم 2010 ، في 642 (2010)

٨٧ مقابلة مع وفاء مصطفى (21 تموز 2021) https://freedomhouse.org/sites/default/files/Complete_Book_Scan.pdf_2010_FIW/03-2020/

٨٨ نفس المرجع

٨٩ مقابلة مع رويدا كنعان (11 شباط 2022)

مع تفاقم الصراع، أصبح العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي يشكل أداة أساسية لنظام الأسد، إذ تمّ استخدامه استراتيجيًا لإرهاب وقمع المدنيين وإضعاف المعارضة. فالعديد من النساء المحتجزات سابقا يفترض أن يكون قد تعرّضن للعنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي للاعتداء في مراكز الاحتجاز، ممّا أدى إلى نفس النتائج في نطاق الأسرة بغض النظر عمّا إذا كان أي اعتداء قد حصل بالواقع. فالنساء المفرج عنهن سيختبرن الاستبعاد الاجتماعي أي الرفض من قبل أسرهن المباشرة والطلاق من قبل أزواجهن. وقد أدّى ذلك إلى مصاعب اقتصادية للمرأة، وفاقمت من الأثر الجسدي والنفسي للإساءة التي تعرّضت لها أثناء الاحتجاز. تتذكر رويدا كنعان قصص عدد لا يحصى من النساء والفتيات اللواتي تعرّضن بعد الإفراج عنهنّ للتنكيل على أيدي أسرهن أكثر مما تعرّضن له أثناء الاحتجاز.^{٩٠}

وروت وفاء مصطفى كيف أنّ المحققين كانوا يسخرون منها خلال فترة احتجازها مؤكدين لها أنها ستبقى دون زواج لأن الجميع سيفترض أنها تعرّضت لاعتداء جنسي. وعلى الرغم من أن عائلتها كانت تدعمها، إلا أنها وجدت نفسها تكرر «لم يمسنني أحد» بعد إطلاق سراحها ولم تشأ الاعتراف بأنها تعرّضت للضرب، كي لا تضطر أن تبوح بأن رجلاً قد اقترب منها.^{٩١} من خلال استخدام مثل هذه الوسائل، لم يكن النظام يستهدف الناشطات فحسب، بل استخدم النساء لممارسة الضغط على أفراد الأسرة أيضًا

**وروت وفاء مصطفى
كيف أنّ المحققين كانوا
يسخرون منها خلال فترة
احتجازها مؤكدين لها
أنها ستبقى دون زواج
لأن الجميع سيفترض أنها
تعرّضت لاعتداء جنسي.**

هربت مصطفى ووالدتها وشقيقتها من سوريا لضمان سلامتهن، حين قبض على والدها، وهو أيضا من المدافعين عن الديمقراطية،^{٩٢} في تموز ٢٠١٣، لخشيتهن من أن يستعملهنّ النظام كوسيلة ضغط ضده.^{٩٣} وفيما كانت غالبية جرائم الاغتصاب والعنف الجنسي في مراكز الاحتجاز السورية تُرتكب ضد النساء والفتيات، كان الرجال والفتيان مُستهدفين أيضًا. في الاجمال، يتمّ استخدام الاغتصاب والعنف الجنسي كوسيلة للتعذيب والعقاب والإذلال. ولكن تبقى اختلافات رئيسية في كيفية استخدام العنف الجنسي ضد الرجال مقارنة بالنساء. تتجذّر هذه الاختلافات مرة أخرى في البنية الأبوية للمجتمع السوري. فاستخدام العنف الجنسي ضدّ الرجال يهدف إلى إزالة الذكورة أو الإخفاء، وليس الوصم بالعار أو النبذ. الرجال أكثر عرضة للضرب والصعق بالصدمات الكهربائية على أعضائهم التناسلية، أو للاغتصاب بأدوات أمام المحتجزين الآخرين، ولا سيما أمام رجال آخرين من مجتمع أو أفراد أسرة الضحية.^{٩٤} وقد يُجبرون أيضًا على الاعتداء الجنسي على المحتجزين الآخرين، بما في ذلك أفراد الأسرة

٩٠. نفس الرجوع

٩١. مقابلة مع وفاء مصطفى، الحاشية ٨٧ أعلاه

٩٢. (٢٣ حزيران ٢٠٢٠) وفاء مصطفى، لماذا لا يستطيع اللاجئون العودة الى سوريا؟، الحملة السورية

[/https://diary.thesyriacampaign.org/refugees-cannot-return-syria-detention](https://diary.thesyriacampaign.org/refugees-cannot-return-syria-detention/)

٩٣. مقابلة مع ألكسندرا ليلي كاتر (١٨ يناير ٢٠٢١) : مقابلة مع وفاء مصطفى ، الحاشية ٨٧ أعلاه ؛ لجنة التحقيق الدولية المستقلة حول الجمهورية العربية السورية ، الحاشية ٦٧ أعلاه.

٩٤. المركز الأوروبي للحقوق الدستورية وحقوق الانسان ، الحاشية ٦٧ و٦٨ اعلاه لجنة التحقيق الدولية المستقلة حول سوريا

الذكور. وبسبب التركيبة الأبوية للمجتمع السوري، فإن الاعتداء الجنسي لا يحمّل عواقب اجتماعية وخيمة على الضحايا من الذكور كما هي الحال بالنسبة للإناث بحيث أن الضحايا الذكور بشكل عام لا ينبذون من قبل أسرهم. وبالتالي، يُنظر إلى الاعتداء الجنسي على الرجال بشيء من التعاطف حيث يُعتبر عمومًا أنه أسلوب تعذيب ينفذه النظام بقصد إذلال وتقليص قدرة الذكر على الإنجاب.^{٩٥}

إنّ الرجال الذين يعرفون عن أنفسهم أو يُشك بأنهم مثليين، أو ثنائيي الميول أو متحوّلين جنسياً وكذلك الأفراد غير الثنائيين، مُستهدفون من قبل قوات الأمن ويتعرّضون للعنف والعنف الجنسي أكثر ممّا يتعرّض

له أقرانهم.^{٩٦} حمّودي الشعيب، سجين سياسي سابق ومدافع عن الحقوق السورية، أشار أنه خلال اعتقاله واستجوابه من قبل النظام، أولي الاهتمام أولاً إلى ميوله الجنسية. وقال إن هذا هو «أول شيء يستخدمونه لتعذيب السجناء»، مما يعكس رهاب المثلية في التعذيب.^{٩٧} وسواء في حالة الرجال أو النساء، يحمل العنف الجنسي أيضاً فكرة التحكم في القدرة على الإنجاب. تتذكّر وفاء مصطفى أنها تعرّضت للركل في بطنها مراراً وتكراراً، وكان المحققون يقولون لها أنها لن تعود قادرة على حمل الأطفال. أما بالنسبة للرجال، فكان تعذيبهم يتركز على الأعضاء التناسلية كي يصابوا بالعقم.^{٩٨}

إنّ العنف الجنسي على وجه الخصوص له تأثير متوارث بين الأجيال على الناجين وعواقبه تتعدّى مجرد المعاناة الفردية. فجرائم التعنيف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي له أثر بالغ على العلاقات الحميمة بين الشخص وشريكه أو مع أطفاله. إذ يبذل انتهاك السلامة الجنسية البنّي الاجتماعية للعائلات والمجتمعات والتجمّعات ككل. واللجوء الى التعذيب والعنف الجنسي يخدم هدف ضرب المعارضة وإضعافها، وله آثار طويلة الأمد على المجتمع السوري.^{٩٩}

٩٥ مقابلة مع الكسندرا ليلي كاتر، الحاشية 93 أعلاه

٩٦ هيومن رايتس ووتش، لقد عاملونا بطرق وحشية: العنف الجنسي ضد الرجال والفتيان والنساء المتحولين جنسياً في الصراع السوري (29 يوليو / تموز 2020). <https://www.hrw.org/2020/07/29/they-treated-us-monstrous-ways/sexual-violence-against-men-boys-and-transgender>

٩٧ مقابلة مع حمودي الشعيب، الحاشية 72 أعلاه

٩٨ إنديب، لجنة التحقيق الدولية بشأن الجمهورية العربية السورية، الحاشية 67 أعلاه؛ مقابلة مع الكسندرا ليلي كاتر

الحاشية 93 أعلاه؛ مقابلة مع وفاء مصطفى، الحاشية 87 أعلاه

٩٩ مقابلة مع الكسندرا ليلي كاتر الحاشية 93 أعلاه، مقابلة مع منى زين الدين، الحاشية 81 أعلاه

الاختفاء القسري

بالإضافة الى التعذيب السائد في مراكز الاعتقال السورية، فإن اللجوء الى الاختفاء القسري هو وجه آخر من وجوه القمع المعتمد من قبل نظام الأسد منذ العقود الماضية والهادف أولاً الى تهريب الشعب السوري، مما يرهّب الأجيال بطريقة فعّالة بعدم تحديّ الحكم. ووفقاً للاتفاقيّة الدوليّة لحماية جميع الأشخاص من الاختفاء القسري، فإن «الاختفاء القسري يُعتبر بمثابة اعتقال أو احتجاز أو اختطاف أو أي شكل آخر من أشكال الحرمان من الحرية التي يتبعها رفض الاعتراف بالحرمان من تلك الحرية أو بتجاهل مصير الشخص المختفي أو مكان وجوده، مما يجعل هذا الشخص خارج حماية القانون»¹⁰.



مجموعة من أهالي المعتقلين السوريين خلال الوقفة في برلين نُظمت في اليوم العالمي للمفقودين عام ٢٠٢١. مصدر الصورة: الحملة السورية / بول واغندر.

على عكس الاعتقال التقليدي حيث يعرف أفراد الأسرة والمجتمع ما حدث لأحبائهم ويعلمون مكان احتجازهم، فإن الاختفاء القسري يعني أن المفقود يبقى مجهول المصير. انعدام المعلومات حول مكان وجود المحتجز أو ما إذا كان على قيد الحياة أم لا له آثار نفسية واجتماعية وماليّة مدوّرة على العائلات. وفقاً للشبكة السورية لحقوق الإنسان (SNHR)، تشير التقديرات إلى أن ما لا يقل عن ١٥١,٤٦٢ شخصاً ما زالوا محتجزين أو مخفيين قسرياً من قبل أطراف النزاع في سوريا منذ آذار ٢٠١١¹¹.

1٠- الاتفاقية الدولية لحماية جميع الأشخاص من الاختفاء القسري، 20 كانون الأول 2006/2716 U.N.T.S

1١- بيان صحفي، مجلس الأمن، العالم يعرض الطرف عن الآلاف من النساء والأطفال الأبرياء المحتجزين وناشطي حقوق الإنسان في سوريا يخبرون مجلس الأمن، بيان صحفي للأمم المتحدة، تغطية اجتماعات مجلس الأمن، (16 حزيران 2020) <https://www.un.org/press/en/doc.htm.sc14215/2020>

تغطية الاجتماعات، مجلس الأمن يخذل آلاف الأشخاص المعتقلين في سوريا، متحدّثون من المجتمع المدني يقولون، يطالبون بمعلومات حول أماكن وجود الأشخاص المفقودين 13913/7 (٢٠١٩ آب 7) <https://www.un.org/press/en/doc.htm.sc13913/2019>

ان التأثير النفسي على أفراد عائلات المفقودين هائل. مع العلم أن إصدار صور قيصر في عام ٢٠١٤ (والتي سيتم تناولها في الفقرة اللاحقة) زوّد بعض الأسر ببراهين تثبت وفاة أحبائهم، إلا أن الكثيرين لا يزالون يجهلون ما قد حدث فعلا. في غياب هذه المعلومات ، يُحرّم أفراد الأسرة من طي الصفحة والمضيّ قدماً في التعامل مع الحزن. لا يزال الكثيرون يأملون عودة أحبائهم ، وينتظرونهم بالرغم من مرور السنوات.

**عشرات الآلاف من
السوريين اختفوا
قسريا على مدى
عشر سنوات
بالإضافة الى آلاف
المختفين قبل
بدء الصراع في
العام ٢٠١١.**

عانت مريم الحلاق، رئيسة جمعية عائلات قيصر - وهي مجموعة تضمّ العائلات التي اكتشفت المصير المأساوي لأحبائها من خلال صور قيصر المسرّبة - مرارة التعرّف على جثة ابنها من خلال الصور. على غرار مغير آلاف آخرين، تمّ اعتقال وتعذيب نجل مريم الحلاق، أيهم، وهو طبيب أسنان شاب، كان يعيش حسبما تقول والدته «حياة طبيعية حتى العام ٢٠١١»، فقد تعرّض للتعذيب من قبل النظام بسبب



مريم الحلاق تحمل صورة لابنها الذي خطف تعسّفاً وعُذّب وقتل في سوريا، أمام بوابة برادنبيرغ في برلين خلال اليوم العالمي للمختوفين عام ٢٠١٨. مصدر الصورة: الحملة السورية \ محمد عبدالله آرتينا

نشاطه ومشاركته في الاحتجاجات. في مقابلة مع معدّي هذا

التقرير، تحدّثت مريم الحلاق عن صمود ابنها وإيمانه الراسخ بأن «الشباب يجب أن يقاتلوا ويفعلوا شيئاً لتغيير الوضع». وقد روت مريم أيضا وهي أم لثلاثة أبناء مرارة الحزن والارتباك الذي شعرت به عندما علمت بوفاة أيهم، ثم قيل لها لاحقا إنه لا يزال على قيد الحياة. استغرق الأمر عامًا وخمسة أشهر حتى تأكّدت وفاته على يد النظام. تواصل مريم الحلاق وعائلات أخرى مرّوا بتجارب مماثلة عندما كُشفت صور قيصر، المطالبة بالحقيقة من أجل وضع خاتمة

مناسبة لمعاناتهم وإقامة مقابر لأحبائهم.

من الناحية العمليّة، فإنّ لحالات الاختفاء أثر اقتصادي على العائلات التي تركت وراءها. فالعديد من تلك العائلات تباع كل ما لديها بما في ذلك منازلها، كي تحصل على أموال تستعملها للرشاوى مقابل معلومات عن أحبائها. بالإضافة إلى ذلك ، نظراً لعدم تأكيد وفاة المختفين، لا يستطيع أفراد أسرهم المطالبة بميراثهم.^{١٢}



عائلات المختفين في سوريا يقفون أمام المحكمة الإقليمية العليا في كوبلنز يوم صدور الحكم على أنور ر. ، في ١٣ يناير ٢٠٢٢. مصدر الصورة: حملة «من أجل سوريا» / بول واغندر.

الأثر على النساء

بالرغم من تعرّض الرجال والنساء والأطفال للاختفاء القسري في سوريا، تبقى غالبية الضحايا من الرجال. وغالبًا ما تُضطر النساء أن تتحمّل مسؤوليات الأسرة فتصبح المعيلات الأساسيات لأسرهنّ، فيواجهنّ عندها تمييزًا مجتمعيًا قويًا وأعباءً اقتصادية في تعبئة أدوار طالما كانت حصرية للرجال.

تواجه النساء اللاتي يُجبرن على الفرار من سوريا عقبات إضافية مقارنة بالرجال في نفس الحالة. وقد روت وفاء مصطفى كيف اضطرت هي ووالدتها وشقيقتها أن تفرّ من سوريا بشكل غير قانوني بعد اعتقال والدها، لأنهم لم يُسمح لهنّ قانونًا بمغادرة البلاد دون إذن وليّ أمر الأطفال القاصرين، وهم عادة الأب أو الجدّ.^{١٣} بعدان نجحن في الخروج من سوريا، واجهنّ رفض أفراد الجالية السورية الذين كانوا يعيشون في تركيا لهنّ لأنهنّ لسنّ بحماية أي رجل، فحاولوا استغلالهم ماديًا، وكانوا يلاحقونهنّ باستمرار بتعليقات حول كونهنّ «ثلاث نساء فقط» وبمفردهنّ. قالت وفاء مصطفى إنها لم تشعر بعبء «أن تكون امرأة» إلا بعد اعتقال والدها، عندما أُجبرت على البقاء في كنف مجتمع متعجرف لا يقبلها في غيابها.

في حين كان معتقلون سابقون ومنشقّون عسكريون يروّون مشاهداتهم في السجون السورية، ظهر في العام ٢٠١٤ أول دليل قاطع على حجم التعذيب الممنهج الذي يمارسه النظام.



عائلات المختفين في سوريا يقفون أمام المحكمة الإقليمية العليا في كوبلنز يوم صدور الحكم على أنور ر. ، في ١٣ يناير ٢٠٢٢. مصدر الصورة: حملة «من أجل سوريا» / بول واغنز.

١٣. فريدوم هاوس ، حقوق المرأة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا 2010
/https://www.refworld.org Syria, Refworld (3 آذار 2010), متاح على
.4b99011dc=cgi-bin/texis/vtx/nwmain?page=printdoc&dclid

صور قيصر

في العام ٢٠١٤، تم تسريب صور قيصر من قبل مصوّر الطب الشرعي – الذي يحمل الاسم الحركي قيصر – الذي عمل في الشرطة العسكرية السورية قبل انشقاقه في العام ٢٠١٣. التقط قيصر صوراً لجثث المعتقلين الذين قُتلوا تحت التعذيب أو في عمليات الإعدام الميدانية. قام بأرشفة أكثر من ٥٥ ألف صورة مهربة إلى خارج سوريا، تُظهر جثث أكثر من ١١ ألف ضحية تعرّضت للتعذيب.^{١٤}

قبل العام ٢٠١١، كانت مهمّة قيصر التقاط صور لمسرح الجرائم ولجثث ضحايا حوادث الغرق أو الحرائق أو حوادث السيارات. حين بدأت المظاهرات، تمّ تكليفه بتصوير جثث المتظاهرين السلميين والمقتولين على أيدي أفراد الأمن وجثث المعتقلين الذين تعرّضوا للتعذيب حتى الموت في السجون. كان يتم ترقيم الجثث بعلامة مكتوبة بالحبر من قبل فرع الأمن الذي يحتجز الشخص، يُكتب الرقم أحياناً على بطاقة بجانب الجثة، وغالباً على الجثة نفسها. وكثيراً ما كان يُرسَل قيصر مع مصوّرين آخرين المستشفيات العسكرية

التقط قيصر صوراً لجثث المعتقلين الذين قُتلوا تحت التعذيب أو في عمليات الإعدام الميدانية. قام بأرشفة أكثر من ٥٥ ألف صورة مهربة إلى خارج سوريا، تُظهر جثث أكثر من ١١ ألف ضحية تعرّضت للتعذيب.

المُستخدمة من قبل قوات الأمن، حيث تتراكم جثث الضحايا بشكل أسرع ممّا يمكنهم توثيقه. طلب النظام السوري الاحتفاظ بسجلات مفصلة لكل حالة وفاة، وغالباً ما أُجبر المعتقلين أنفسهم على المشاركة في عمليات التوثيق.

خلال فترة اعتقاله الأطول وهي ثلاث سنوات في الفرع ٢١٥ السيئ السمعة في دمشق، أُجبر السجن السابق عمر الشخري على ترقيم الضحايا الذين صورهم قيصر. في مقابلة مع HRF و TSC، روى هـول مشاهدة مثل هذه الجرائم بالقوة، وأيضاً فظاعة الدور الذي أوكله إليه جلاّده وهو وضع أرقام على جثث المتوفّين، والتي تم الكشف عنها لاحقاً للعالم أجمع.^{١٥} قام المصوّر والأطباء المختصّون بإعداد تقرير عن كل جثة، مفصّل وموثق بالصور، مع رقم يشير إلى هوية المتوفّي وفرع المخابرات الذي قضى فيه. لم تذكر هذه التقارير أي نوع من التعذيب، حتى في مع رقم



١٤. هيومن رايتس ووتش، لو تكلم الأموات: القتل الجماعي والتعذيب في مراكز الاعتقال السورية (١٦ كانون الأول ٢٠١٥) [https://www.hrw.org/report/2015/12/16/if-dead-could-speak/mass-deaths-and-torture-syrias-detention-facilities/16/12/2015/https://www.hrw.org/report](https://www.hrw.org/report/2015/12/16/if-dead-could-speak/mass-deaths-and-torture-syrias-detention-facilities)

يشير إلى هوية المتوقفي وفرع المخابرات الذي قضى فيه. لم تذكر هذه التقارير أي نوع من التعذيب، حتى في الحالات الواضحة التي أعطى المصورون براهين عنها. عوضاً عن ذلك، كانت أسباب الوفاة تتراوح بين النوبة القلبية والأمراض التنفسية والأسباب الطبيعية. ذات مرة، جاء صديق لقيصر يقنعه بمواصلة عمله، مع الاستفادة من منصبه لجمع الأدلة على حجم التعذيب والفضائح التي كان يشهدها. أثناء قيامه بواجباته، بدأ قيصر بنسخ الصور على مفاتيح USB، تم تهريبها من سوريا. استمر على هذه الحال لمدة عامين، وفي آب ٢٠١٣، حين أصبـح بقاءه في سوريا خطراً عليه، غادر البلاد مع صديقه وطلب اللجوء الى أوروبا.^{١٠٦} تمت مشاركة صورته على نطاق واسع من قبل منظمات حقوق الإنسان ومن خلال مختبر الأدلة الرقمية التابع

لمكتب التحقيقات الفيدرالي، الذي تحقق من صحتها، كما تم تسريب العديد من الصور على شبكة الإنترنت. قدّمت هذه الصور لأول مرة، أدلة مروّعة للمجتمع الدولي على التعذيب والقتل الممنهج للمعتقلين من قبل النظام السوري. بالإضافة إلى ذلك، زوّدت الصور العائلات بمعلومات عن أحبائهم؛ فبالنسبة للكثيرين، كان العثور على صورة لأحد أفراد الأسرة هو الجواب الوحيد لديهم حول مصير هذا الشخص المقرّب. لعبت صور قيصر دوراً مهماً إذ أنها تُستخدم كدليل في العديد من الملفات القضائية التي تعمل عليها مجموعات قانونية وحقوقية مختلفة. وتشمل هذه الملفات المحاكمة الأولى بشأن التعذيب الذي تمارسه الدولة، والمعروفة باسم «محاكمة الخطيب»، والتي جرت في كوبلنز بألمانيا، بموجب مبدأ الولاية القضائية العالمية. أولت المحكمة في كوبلنز اهتماماً خاصاً للفرع ٢٠١٥ و قدّمت رؤى تفصيلية للتعذيب المرعب وللإهمال، فضلاً عن الظروف الصحية المدمّرة وظروف الاحتجاز العامّة في مراكز الاعتقال السورية.

لعبت صور قيصر دوراً مهماً وتستخدم كدليل في العديد من الملفات القضائية التي تعمل عليها مجموعات قانونية وحقوقية مختلفة. وتشمل هذه الملفات المحاكمة الأولى بشأن التعذيب الذي تمارسه الدولة، والمعروفة باسم «محاكمة الخطيب»، والتي جرت في كوبلنز بألمانيا.

١٠٥ مقابلة مع عمر الشغري، الحاشية 22 أعلاه

١٠٦ بن هوبارد وديفيد د. كيركاتريك، أرشيف الصور يُقال إنه يُظهر انتشار التعذيب في سوريا، نيويورك تايمز (21 كانون الثاني 2014) world/middleeast/photo-archive-is-said-to-show-widespread-torture-in-syria.html; Adam Ciralsky, Documenting Evil: <https://www.nytimes.com/2015/06/11/inside-assads-hospitals-of-horror>, Vanity Fair (June 11, 2015), [assad-war-crimes-syria-torture-caesar-hospital](http://www.vanityfair.com/news/2015/06/assad-war-crimes-syria-torture-caesar-hospital); Garance le Caisne, 'They were torturing to kill': inside Syria's death machine, <https://www.vanityfair.com/news/2015/06/assad-war-crimes-syria-torture-caesar-hospital>; www.theguardian.com/world/2015/oct/01/oct/2015 (1 تشرين الأول 2015): EDT 1:00, 2015, 1, machine, Guardian (Oct 1, 2015). they-were-torturing-to-kill-inside-syrias-death-machine-caesar



القانون الدولي والاختصاص القضائي العالمي

إنّ القانون الدولي ينظّم العلاقات بين الدول، عموماً. هناك ثلاثة مصادر رئيسية للقانون الدولي: (١) المعاهدات والاتفاقيات، (٢) القانون الدولي العرفي، (٣) المبادئ العامة للقانون.^{١٠٧} الاتفاقيات والمعاهدات الدولية هي اتفاقيات بين الدول تحدّد الحقوق والالتزامات المتبادلة بمجرد التصديق عليها. تعتبر القاعدة قانوناً دولياً عرفياً عندما تكون هناك ممارسة عامة ومتسقة بين الدول التي تتبّعها من مبدأ الالتزام بالقانون. وحده الاعتراض المستمر وفي الوقت المناسب يمكنه أن يحرّر دولة من اتباع قاعدة من قواعد القانون الدولي العرفي. أخيراً، المبادئ العامة للقانون هي مبادئ أساسية مقبولة على نطاق واسع في النظم القانونية وتستخدم بشكل خاص في القضايا التي لا يطبق بصددها وبشكل صريح، أي معاهدة قائمة أو القانون الدولي العرفي.

القانون الدولي لحقوق الإنسان هو مجموعة من القوانين التي تحدّد التزامات الدول تجاه مواطنيها، في حين أن القانون الدولي الإنساني – المعروف أيضاً باسم قانون النزاع المسلح – هو جزء من القانون الدولي الذي ينظّم وسائل وأساليب الحرب ويحمي الأفراد الذين لا يشاركون أو الذين كفواً عن المشاركة في الأعمال الحربيّة.^{١٠٨}

لقد ارتكبت انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان وللقانون للقانون الإنساني الدولي طوال فترة انصراف السوري.

حقوق الانسان العالمية

القانون الانساني والدولي

يُعتبر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان المعلن في العام ١٩٤٨ كأساس للقانون الدولي لحقوق الإنسان. وقد أنشأت المعاهدات والعهود والشرع والإعلانات اللاحقة المبنية على مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان منظومة للقانون الدولي لحقوق الإنسان، بما في ذلك العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية^{١٠٩} والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.^{١١٠} وقد دخل حيز التنفيذ في العام ١٩٧٦. اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة^{١١١} دخلت حيز التنفيذ في العام ١٩٨٧. وسوريا هي دولة طرف في هذه المعاهدات الثلاث.^{١١٢}

١٠٧ كريستوفر غرينوود، مصادر القانون الدولي: مقدمة (2008)

https://legal.un.org/avl/pdf/ls/Greenwood_outline.pdf

١٠٨ الاتصالات الدولية، الصليب الأحمر، الخدمة الاستشارية بشأن القانون الإنساني الدولي، ما هو القانون الإنساني الدولي؟ (يوليو 2004)

https://www.icrc.org/en/doc/asset/files/other/what_is_ihl.pdf

١٠٩ العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، 16 كانون الأول 1966S, Exec.S, Exec. Doc. E, U.N.T.S 999, (1978) 2-95, 171. https://treaties.un.org/Pages/ViewDetails.aspx?src=TREATY&mtdsg_no=IV&clang=en&chapter=4

١١٠ العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، 16 كانون الأول 1966, Exec. Doc. D, U.N.T.S 993, (1978) 2-95, 3. https://treaties.un.org/Pages/ViewDetails.aspx?src=IND&mtdsg_no=IV&chapter=3

١١١ اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، 10 كانون الأول 1984, U.N.T.S 1465, (1988) 20-100. https://treaties.un.org/pages/ViewDetails.aspx?src=IND&mtdsg_no=IV,85

١١٢ مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان، حالات التصديق، الجمهورية العربية السورية، <https://indicators.ohchr.org>

بالإضافة إلى ذلك، فإنّ حقوق الإنسان تندرج ضمن فئة القواعد الآمرة أو القطعية. بخلاف المعاهدات والاتفاقيات والقانون الدولي العرفي، لا يجوز للدول أن تقرّ ما إذا كانت ستلتزم بالقواعد القطعية أو ترفضها بالاعتراض المستمرّ عليها. تُعتبر القواعد القطعية مبادئ نهائية لا يجوز لأي دولة نقضها. وفي حين لا يوجد تعريف متّفق عليه عالمياً لما يشكّل معياراً قطعياً، هناك اعتراف شبه عالمي بأنّ الجرائم ضد الإنسانية والإبادة الجماعية والتعذيب والعدوان هي مدرجة كمبادئ أمرة.¹¹³

هناك ١٠ أفعال أساسية تُعدّ جرائم ضد الإنسانية، من بينها القتل والسجن والتعذيب والاختفاء القسري والعنف الجنسي. الجرائم ضد الإنسانية، على عكس نفس الأفعال المرتكبة على النطاق المحلي أو المنزلي، هي ارتكاب فضائع واسعة النطاق ضد السكّان ككل، وليس فقط ضد الأفراد.

ينطبق القانون الدولي الإنساني على النزاعات المسلحة الدولية والنزاعات المسلحة غير الدولية. المصادر الرئيسية للقانون الدولي الإنساني هي المعاهدات والقانون الدولي العرفي. تتضمّن اتفاقيّات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩ والبروتوكولان الإضافيّان لعام ١٩٧٧ أهمّ قواعد القانون الدولي الإنساني. الانتهاكات الجسيمة للقانون الإنساني الدولي كما الانتهاكات الجسيمة لاتفاقيّات جنيف تشكّل جرائم حرب.

يختصّ القانون الجنائي الدولي بالجرائم الأكثر فظاعة. فالجرائم الأساسيّة الأربعة هي جريمة العدوان والجرائم الثلاث «الفظيعة» هي: (١) جريمة الإبادة الجماعية، (٢) جرائم الحرب، (٣) الجرائم

ضد الإنسانية. جريمة العدوان تقوم على استخدام دولة للقوة المسلحة ضد دولة أخرى بما يتعارض مع ميثاق الأمم المتّحدة. جريمة الإبادة الجماعية تتضمّن أفعالاً تُرتكب «بقصد تدمير» جماعة عرقية أو قومية أو دينية. جرائم الحرب تشمل «الانتهاكات الجسيمة» لاتفاقيات جنيف والقوانين الدوليّة الأخرى التي تحكم السلوك في سياق النزاع المسلح، والتي يتبيّن بالاجمال أنها أفعال ارتكبت عمدًا (مثل القتل والتعذيب وما إلى ذلك) ودون مسوّغ عسكري ضد مجموعة محميّة.¹¹⁴ أخيراً، تُعتبر جرائم ضد الإنسانية كلّ الجرائم المرتكبة «كجزء من هجوم شامل أو منهجيّ موجّه ضد سكّان مدنيّين».

هناك ١٠ أفعال أساسية تُعدّ جرائم ضد الإنسانية، من بينها القتل والسجن والتعذيب والاختفاء القسري والعنف الجنسي. الجرائم ضد الإنسانية، على عكس نفس الأفعال المرتكبة على نطاق محلي أو منزلي، هي ارتكاب فضائع واسعة النطاق ضد السكّان ككل، وليس فقط ضد الأفراد.¹¹⁵

بناءً على الفصل السابق من هذا التقرير، هناك أدلّة كافية تؤثّق جرائم خطيرة بموجب القانون الدولي، لا سيما الجرائم ضد الإنسانية، في مجريات الصراع المسلح في سوريا.

¹¹³ نائب عن اللجنة القانونية الدولية، الدورة ٧١، ٢٩ نيسان - ٧ حزيران، ٨ تموز - ١٩ آب ٢٠١٩.

¹¹⁴ ٥٦، Doc A/U.N. ١٠٧٤/١، GAOR، Supp. No. ١٠، ١٩٦٤th Sess.، (٢٠١٩)، <https://undocs.org/en/A/1074/1>.

¹¹⁵ مراسلات الصليب الأحمر الدولية، كيف يتم تعريف «الانتهاكات الجسيمة»، في اتفاقيات جنيف والبروتوكولات الإضافية (٤ يونيو ٢٠٠٤) <https://www.icrc.org/en/doc/resources/documents/facq.htm?zmgf9>.

¹¹⁶ نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، مادة ٧، ١٧ تموز <https://www.icc-cpi.int/resource-library/documents/rs-eng.pdf> ١٩٩٨.

مراجعة أيضاً مكتب الأمم المتحدة المعني بمنع الإبادة الجماعية والمسؤولية عن الحماية. جرائم الحرب

<https://www.un.org/en/genocideprevention/war-crimes.shtml>

ومراجعة أيضاً الجرائم الدولية. منظمة المجتمع المفتوح، <https://www.justiceinitiative.org>

<https://www.justiceinitiative.org/uploads/cfc98f4a-4e03-49e4-9e46-f161013763-mx-factsheet-icl>

المحاكم الدولية

في حين أن المحاكم الدولية قد تم إنشاؤها تقليدياً لغرض رئيسي هو تسوية النزاعات بين الدول مثل محكمة العدل الدولية، بعد الحرب العالمية الثانية، توجد أيضاً محكمة جنائية دولية دائمة وغيرها العديد من المحاكم والهيئات القضائية المختصة، تم تأسيسها واعطاؤها صلاحية محاكمة المسؤولين عن الجرائم الدولية المهمة.

بالرغم من ذلك، وكما سيتم التوضيح لاحقاً، فإن القدرة على تحقيق العدالة لسوريا من خلال أي من المحاكم المذكورة أعلاه تبقى محدودة، سواء بسبب القيود القضائية أو بسبب طبيعة المحكمة المعنية.¹¹⁷

محكمة العدل الدولية

محكمة العدل الدولية هي الهيئة القضائية الرئيسية للأمم المتحدة، تأسست بموجب ميثاق الأمم المتحدة لعام ١٩٤٥ ومقرها لاهاي. إنها ليست محكمة جنائية، لكنها تعمل بدلاً من ذلك على تسوية النزاعات بين الدول. يمكن للدول فقط الممثل أمام محكمة العدل الدولية، و فقط إذا وافقت الدولة المعنية على اختصاص محكمة العدل الدولية، أو إذا كان لمحكمة العدل الدولية اختصاص من خلال معاهدة أو اتفاقية. والجدير بالذكر بأن الدولة يمكنها أن تراجع موافقتها على الاختصاص القضائي أو ببساطة تقرّر عدم الخضوع لإجراءات المحكمة.

يمكن تنفيذ أحكام محكمة العدل الدولية بموجب المادة ٩٤ (٢) من ميثاق الأمم المتحدة، والتي بموجبها « إذا قَصَرَ أي طرف في قضية ما في أداء الالتزامات المفروضة عليه بموجب حكم صادر عن المحكمة، يصبح لدى الطرف الآخر حق اللجوء إلى مجلس الأمن، الذي يجوز له، إذا رأى ذلك ضرورياً، تقديم توصيات أو اتخاذ قرار بشأن التدابير التي يتعيّن اتخاذها لتفعيل الحكم ». وقد منحت بعض المعاهدات والاتفاقيات الاختصاص لمحكمة العدل الدولية. من بينها اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة (CAT)، وسوريا طرف فيها أيضاً. لذلك، فإن إمكانية تلقي محكمة العدل الدولية شكوى ضد سوريا موجودة. وبالرغم من وجود العديد من الخطوات التي يجب أن تُعتمد قبل أن تبدأ فعلياً أي دعوى قضائية، فقد أعلنت هولندا في أيلول ٢٠٢٠، أنها بدأت إجراءات ضد سوريا أمام محكمة العدل الدولية لانتهاكها اتفاقية مناهضة التعذيب.¹¹⁷



قصر السلام الذي يضم محكمة التحكيم الدائمة ومحكمة العدل الدولية للأمم المتحدة في لاهاي، هولندا. المصدر: ويكيبيديا كومنز

¹¹⁷ مقابلة مع روجر لو فيليبس (4 تشرين الثاني 2020). <https://www.reuters.com/article/us-netherlands-syria-worldcourt/netherlands-prepares-case-against-syria-for-gross-human-rights-violations-idUSKBN2691VG>

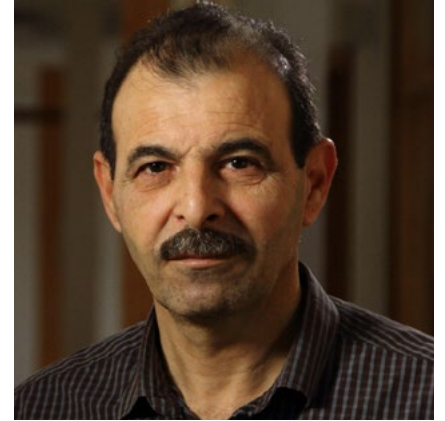
¹¹⁸ تعد هولندا قضية ضد سوريا بسبب « الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان ». رويترز (18 سبتمبر / أيلول 2020، 8:09 صاخا) <https://www.reuters.com/article/us-netherlands-syria-worldcourt/netherlands-prepares-case-against-syria-for-gross-human-rights-violations-idUSKBN2691VG>
أليس ياماموتو & بليسي جراح، التحرك الهولندي ضد سوريا: طريق جديد للعدالة والأمن العادل (22 أيلول 2020) <https://www.justsecurity.org/72516/the-netherlands-action-against-syria-72516/> <https://a-new-path-to-justice.org/>

ومع ذلك، فإن أي قضية تبتّ فيها محكمة العدل الدولية لن تكون مقاضاة لأفراد من نظام الأسد، بل ستكون بمثابة محاكمة للدولة السورية كونها مسؤولة عن عدم احترام التزامها بالاتفاقية المذكورة.^{١١٨} بالإضافة الى ذلك، وفي حين أعلنت كندا أيضاً عن نيّتها تحميل سوريا المسؤولية بموجب القانون الدولي، فإن المادة ٣٠ من اتفاقية مناهضة التعذيب تتطلب أن يكون هناك نزاع بين الدول الأطراف فيما يتعلق بتفسير الاتفاقية أو بتطبيقها، فيكون هذا موضوع مفاوضات ثم تحكيم دولي. وبالتالي، لا يمكن لأي طرف إحالة النزاع إلى محكمة العدل الدولية إلا إذا كانت الدول الأطراف غير قادرة على الاتفاق بشأن التحكيم.

المحكمة الجنائية الدولية

المحكمة الجنائية الدولية هي محكمة قائمة على المعاهدات تم إنشاؤها بموجب نظام روما الأساسي في عام ١٩٩٨. المحكمة الجنائية الدولية هي مؤسسة مستقلة ودائمة، ومقرها لاهاي في هولندا، لها سلطة محاكمة الأفراد المتهمين بارتكاب جرائم خطيرة لدرجة أنها تهتم المجتمع الدولي برمته، مثل الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب وجريمة العدوان. تعتبر المحكمة الجنائية الدولية كمحكمة الملاذ الأخير، وتحاكم الأفراد فقط عندما تكون المحاكم الوطنية غير راغبة أو غير قادرة على مقاضاتهم. بموجب نظام روما الأساسي، يقتصر اختصاص المحكمة الجنائية الدولية على الدول الأطراف في النظام الأساسي (إما إذا كان الفرد المتهم هو من مواطني دولة طرف، أو إذا وقعت الجريمة المزعومة داخل أراضي دولة طرف)^{١١٩} بالإضافة إلى ذلك، يمكن لدولة ليست طرفاً في النظام الأساسي أن تختار قبول اختصاص المحكمة الجنائية الدولية من تلقاء نفسها أو يمكن لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة (UNSC) إحالة القضية إلى المحكمة الجنائية الدولية بغض النظر عما إذا كانت الدولة المعنية طرفاً في النظام الأساسي^{١٢٠} على الرغم من سلطة الإحالة النظرية الممنوحة إلى مجلس الأمن الدولي بموجب نظام روما الأساسي، فإن الحقيقة هي أن حق النقض للدول الخمس الدائمة العضوية قد قلص من إمكانية تحريك ملف إحالة سوريا إلى المحكمة الجنائية الدولية من خلال قرار مجلس الأمن الدولي. منذ العام ٢٠١١، استخدمت روسيا حق النقض (الفيتو) على ١٦ قراراً يتعلق بسوريا، ومن بينها في ١٠ مناسبات مارست فيها حق النقض بالاشتراك مع الصين،^{١٢١} مما حدّ لاحقاً من احتمال أن تنظر المحكمة الجنائية الدولية في قضية تتعلق بسوريا من هذا المدخل (إلا إذا كان هناك إصلاحات في مجلس الأمن و / أو تغيير في السياسة^{١٢٢} من الحكومة الروسية). وغنّي عن القول، أن حق النقض هذا قد وفرّ الدعم السياسي لنظام الأسد، وحافظ على المصالح الجيوسياسية والاقتصادية لروسيا في سوريا، وضمن الإفلات من العقاب لنظام لم يحاكم يوماً أمام محكمة دولية على الرغم من مسؤوليته في ارتكاب الغالبية العظمى من الفظائع خلال الصراع. أنور البني، محامي حقوق الإنسان ورئيس المركز السوري للدراسات والبحوث القانونية، يقول إن «القضية السورية تكشف عجز المحكمة الجنائية الدولية في غياب الإرادة السياسية».

«قضية سوريا تكشف عجز المحكمة الجنائية الدولية في غياب الإرادة السياسية».



أنور البني

محامي حقوق و رئيس المركز السوري للدراسات والبحوث القانونية

١١٨ مقابلة مع أنور البني (13 كانون الثاني 2021)

١١٩ نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، الحاشية 115 أعلاه، المادة 12

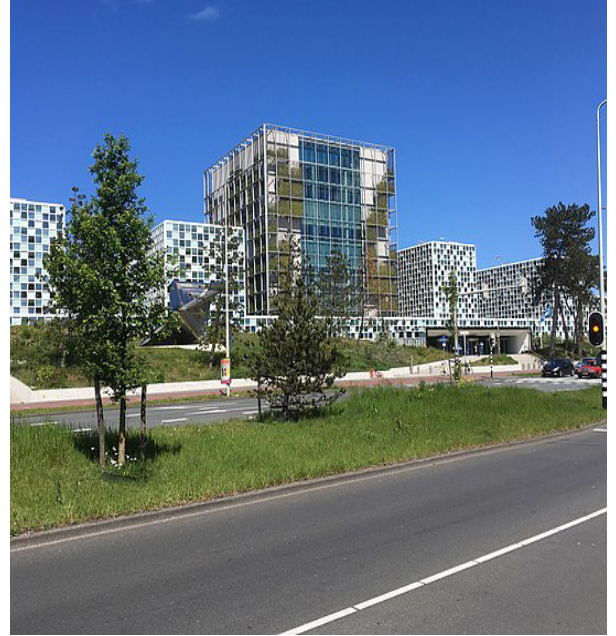
١٢٠ نفس المرجع، المادة 13

١٢١ رويترز، روسيا والصين و فيتو المساعدة لسوريا عبر تركيا في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، إن بي سي نيوز (10 تموز 2020، 3:01 مساءً بتوقيت شرق الولايات المتحدة)، <https://www.nbcnews.com/news/world/russia-china-veto-aid-syria-turkey-u-n-security-council-n1233465>

الخياران الآخران اللذان يمكن أن يؤديا إلى اختصاص المحكمة الجنائية الدولية بموجب المادة ١٣ من نظام روما الأساسي هما في إحالة الدولة الطرف الى المحكمة أو في قرار من المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية بفتح تحقيق في حالة دون إحالة مجلس الأمن أو دولة طرف، والمعروف أيضًا باسم *proprio motu*.

تنظم المادة ١٥ (١) من نظام روما الأساسي الظروف التي يمكن للمدعي العام في ظلها ان يبدأ التحقيقات في قضايا خاصة به. في كلتا الحالتين، يبدو من غير المحتمل أن تحيل سوريا نفسها إلى المحكمة الجنائية الدولية أو أن يبدأ مدعي عام المحكمة الجنائية الدولية تحقيقًا من تلقاء نفسه.^{١٢٣}

يجب أيضًا تمييز آليات التحفيز الموجودة في المادة ١٣ من نظام روما الأساسي عن الشروط المسبقة اللازمة لممارسة الولاية القضائية بموجب المادة ١٢. فعلى الرغم من أن المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية قد أعلن أنه سيعطي الأولوية للقضايا المحالة إلى المحكمة من قبل مجلس الأمن الدولي (وهي حاليًا ليبيا ودارفور)، فهذا لا يحول دون خيار المحكمة الجنائية الدولية أن تنظر في القضية السورية لاحقاً. على سبيل المثال، إذا كانت هناك عناصر



من جرائم المحكمة الجنائية الدولية التي ارتكبت خارج سوريا في دولة طرف في المحكمة الجنائية الدولية، فقد يكون هذا بمثابة أساس لتفعيل اختصاص المحكمة (كما حدث لبورما، وهي دولة غير طرف في المحكمة الجنائية الدولية، وقد مارست المحكمة الجنائية الدولية اختصاصها على أساس أن الجرائم ضد الإنسانية مثل الترحيل والاضطهاد التي ارتكبتها بورما ضد سكان الروهينجا قد ارتكبت جزئيًا في بنغلاديش، وهي دولة طرف في المحكمة الجنائية الدولية) أو في حالة ارتكاب جرائم من قبل مواطنين دولة طرف في المحكمة الجنائية الدولية. وبالتالي تظل الإمكانية متاحة حيث يمكن حث المدعي العام في المحكمة الجنائية الدولية على النظر في فتح فحص أولي و / أو تحقيق في الوضع في سوريا أو إذا تمّ الضغط على الدول الأطراف في المحكمة الجنائية الدولية لإحالة الوضع في سوريا إلى هذه المحكمة.

علاوة على ذلك، فإن المحكمة الجنائية الدولية يمكنها ان تنظر في عدد محدود من القضايا في وقت واحد. إن الملاحقة القضائية في القضايا مقيّدة بمعايير الخطورة المنصوص عليها في نظام روما الأساسي، أي يجب أن تأخذ في الاعتبار نطاق وخطورة الجرائم وكذلك دور ودرجة مشاركة الجاني المزعوم بموجب المادة ١٧ (د) من نظام روما الأساسي، مما يركز انتباه المحكمة الجنائية الدولية على القضايا الأكثر خطورة.

١٢٢ مقابلة مع أنور البني، الحاشية 118 اعلاه

١٢٣ مؤخرًا، وأثناء صياغة هذا التقرير، استخدم المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية سلطته التلقائية فيما يتعلق بالغزو الروسي لأوكرانيا من أجل بدء التحقيق في أوكرانيا. وفي الوقت نفسه، دعا الدول الأطراف في نظام روما الأساسي لإحالة القضية نفسها إلى المحكمة الجنائية الدولية بحيث يمكنه تسريع المحاكمة، وبالتحديد، شدد على أن «الطريق البديل المنصوص عليه في النظام الأساسي والذي يمكن أن يزيد تسريع الأمور سيكون دولة طرف في المحكمة الجنائية الدولية لإحالة الوضع إلى مكتبي، الأمر الذي من شأنه أن يسمح لنا بالمضي قدمًا بشكل فعال وفوري مع المكتب المستقل للمكتب التحقيقات الموضوعية». بعد هذه المكالمة من المدعي العام، أحوال 39 دولة طرف الوضع إلى المحكمة الجنائية الدولية، كل هذا ليقول إنه سياسيًا زيادة الدول التي تدير المحكمة الجنائية الدولية، وبغض النظر عن الإرادة السياسية، فإن الحصول على الزعم بشأن قضية سوريا أمام المحكمة الجنائية الدولية أمر غير مرجح بشكل أساسي. بيان المحكمة الجنائية الدولية المدعي العام كريم أ. خان كيو سي، حول الوضع في أوكرانيا: «لقد قررت المضي قدمًا في فتح تحقيق». مكتب المدعي العام في المحكمة الجنائية الدولية شباط 2022

<https://www.icc-cpi.int/Pages/item.aspx?name=prosecutor-statement-ukraine-20220228>

الإضافة إلى محكمة العدل الدولية والمحكمة الجنائية الدولية، تمّ في التسعينيات، إنشاء العديد من المحاكم الجنائية الخاصة والمحاكم إما من خلال اتفاقية ثنائية بين دولة والأمم المتحدة أو من خلال قرار مجلس الأمن الدولي مع تفويض لمحكمة الأفراد المسؤولين عن ارتكاب جرائم جسيمة.^{١٢٤} ومن بينها المحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا السابقة (ICTY)، والمحكمة الجنائية الدولية لرواندا،^{١٢٥} والمحكمة الخاصة لسيراليون.



آلية الأمم المتحدة الدولية لتصريف الأعمال المتبقية عن المحاكم الجنائية. اعتمادات الصورة: ويكيبيديا كومنز.

المحاكم الجنائية الخاصة والمحاكم الخاصة في السياق السوري

هناك حركة تدعم فكرة إنشاء نوع خاص من المحاكم للتصدّي للجرائم الجسيمة في سوريا، كي «تنظر في المشهد الكامل للانتهاكات المرتكبة أثناء الصراع». وقد نوقشت إمكانية إنشاء محكمة مختلطة، من شأنها أن تدمج بين القانون الوطني والدولي، أو محكمة الاختصاص الجماعي، مما يؤدي نظرياً إلى توزيع التكلفة والموارد المطلوبة

للمقاضاة على عدة دول. يعتبر الكثيرون بأن المحكمة الدولية هي الآلية الأنسب لمحاسبة نظام الأسد.

العامين في محكمة دولية، إجراء تحقيق شامل مع جميع الجناة وتحديد من يتحمل المسؤولية الأكبر، وتقديمه إلى العدالة.

من الواضح تمامًا في السياق السوري، أن الصراع لا يزال مستمراً بينما تمّ إنشاء جميع المحاكم ولجان

وفقاً لذلك، «هذا مهم لأنه تاريخياً، جرى تأخير إجراءات العدالة، واختفت الأدلة، أو تم إخفاؤها أو إتلافها، وتوفي الضحايا والشهود أو رحلوا بعيداً، مما يجعل تذكر التفاصيل بالكامل أمراً مستحيلاً.» في حين أن المحكمة السورية المختلطة في مرحلة ما بعد الصراع قد تكون، في عالم مثالي، هي المكان الأنسب لمحاسبة هؤلاء الأفراد وسدّ الثغرات في المساءلة المتبقية، فإن البعض، ولا سيما من سوريي الشتات، يعترضون على مفهوم إقامة محكمة دولية. فأى محاولة لإنشاء محكمة ستواجه عقبات عملية، بما في ذلك الخطر أن تستنزف مثل هذه المحكمة موارد محدّدة منأليات أخرى ذات

الجرائم في سوريا «لا تزال تُرتكب، والأدلة كثيرة، بفضل حركة التوثيق الهائلة».

^{١٢٤} الأمم المتحدة، المحاكم الخاصة والآليات الأخرى (شباط 2020)

[specialtribunals.pdf/02/2020/15/https://www.un.org/press/docs/2020/20200215.un-tribunals.pdf](https://www.un.org/press/docs/2020/20200215.un-tribunals.pdf)

اللجنة الدولية للصليب الأحمر، المحاكم الخاصة (29 تشرين الأول 2010) <https://www.icrc.org/en/document/ad-hoc-tribunals>

^{١٢٥} نفس المرجع

^{١٢٦} النظر في محكمة «الاختصاص الجماعي» لسوريا، العدالة والمساءلة في سوريا، (25 تشرين الثاني 2020)

[./consideration-of-a-pooled-jurisdiction-tribunal-for-syria/25/11/2020/https://www.syriaaccountability.org/updates](https://www.syriaaccountability.org/updates/consideration-of-a-pooled-jurisdiction-tribunal-for-syria/25/11/2020/)

^{١٢٧} أنور البني، فتح آفاق جديدة: العدالة الانتقالية في سوريا، المركز السوري للدراسات والبحوث القانونية (24 تشرين الثاني 2020)

[lang=en?1580/https://sl-center.org/language/en/archives](https://sl-center.org/language/en/archives/lang=en?1580)

أهمية حيوية، بما في ذلك الآلية الدولية المحايدة والمستقلة (IIM)، والتي ستتم مناقشتها في القسم التالي من هذا التقرير. هناك أيضًا أسئلة حول القيود التي قد تكبل المحكمة من حيث الولاية القضائية أو نوع الجرائم مثل الحصانات الوظيفية والشخصية بما فيها حصانة رئيس الدولة، فهي سوف تظل سارية بدون آليات عملية أو مادية لتسليم المسؤولين السوريين ما لم تكن هذه المحكمة بالطبع مصحوبة بتغيير سياسي في البلاد. علاوة على ذلك، قد تتطلب المحكمة الدولية الاعتماد على المجتمع الدولي للحصول على الدعم، وليس من الواضح ما إذا كانت الإرادة السياسية (أو الموارد المالية) لهذه المحكمة متوفرة.

يمكن أن يكون لنقص التمويل تأثير سلبي على التحقيقات والملاحقات القضائية، مما يعني أنه قد لا تتم دراسة بعض القضايا بشكل كامل، مما قد يخلق شعوراً بالظلم لضحايا تلك الجرائم. ومن الأمثلة على ذلك المحكمة الخاصة بلبنان، حيث تم قطع التمويل ويبدو أنه قد تم التخلي عن بعض الإجراءات، مما يحرم ضحايا تلك الجرائم من الحصول على العدالة.^{١٢٨}

في الوقت الحالي، لا توجد إرادة سياسية لإنشاء محكمة خاصة لسوريا بقرار من مجلس الأمن الدولي، لأنه من المحتمل جدًا أن تستخدم روسيا والصين حق النقض (الفيتو) للأسباب نفسها التي قدمتها هذه الدول لمعارضة إحالة مجلس الأمن الدولي للوضع في سوريا إلى المحكمة الجنائية الدولية. وغني عن البيان أيضًا أنه - ما لم يكن هناك تغيير حقيقي للنظام في سوريا - فمن غير المحتمل أن تطلب الحكومة إنشاء محكمة خاصة.

وحتى في حال حصول تغيير في النظام، فقد تظل عناصر النظام القديم مؤثرة وتعارض الجهود الحقيقية نحو المساءلة، كما يحدث مثلًا في السودان حالياً فيما يتعلق بعمر البشير.

هناك نقطة أخرى يجب مراعاتها فيما يتعلق بالمحاكم الخاصة وهي أنها لا تملك القدرة على محاكمة الجميع. يمكنهم التركيز فقط على الجناة رفيعي المستوى، مما يعني أن آلية مساءلة الجناة من المستوى الأدنى تظل ضرورية. وتعتبر رواندا مثالاً على ذلك، حيث حاکمت المحكمة الجنائية الدولية لرواندا الجناة رفيعي المستوى بينما حاکمت محاكم جاكابا (Gacaca) (القائمة على العدالة التقليدية في رواندا) والمحاكم المحلية، الجناة من المستوى الأدنى. باختصار، من غير المحتمل أن يكون هناك أي حافز لإنشاء محكمة خاصة في الوقت الحاضر. حتى لو تغيّر الوضع في المستقبل، فإن الأسئلة المتعلقة بالتمويل وكيفية متابعة مساءلة الجناة من المستوى الأدنى يجب أن تتم معالجتها. لا يبدو أن المحكمة الخاصة هي الخيار الأفضل للضحايا في الوقت الحاضر.

١٢٨ تهدد الأزمة المالية الحادة قدرة المحكمة الخاصة بلبنان على الوفاء بولايتها . المحكمة الخاصة بلبنان. (2 حزيران 2021) <https://www.stl-tsl.org/en/media/press-releases/severe-financial-crisis-threatens-the-stls-ability-to-fulfil-its-mandate> قضية عياش (المحكمة الخاصة بلبنان 10-18) [https://www.stl-tsl.org/en/the-cases/stl\(18-10](https://www.stl-tsl.org/en/the-cases/stl(18-10) آخر زيارة في 25 آذار 2022).

آلية المحاسبة الدولية وآليات المساءلة غير القضائية

أنشأتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام ٢٠١٦ لتخطي حق النقض الروسي وشلل مجلس الأمن الدولي. تم تكليف الآلية الدولية المحايدة والمستقلة (IIIM) «بجمع الأدلة المتعلقة بانتهاكات القانون الدولي الإنساني وحقوق الإنسان وتوحيدها وحفظها وتحليلها وإعداد الملفات من أجل تسهيل وتسريع الإجراءات الجنائية العادلة والمستقلة»^{١٢٩} بالنسبة للجرائم المرتكبة في الجمهورية العربية السورية منذ آذار ٢٠١١. الآلية الدولية المحايدة والمستقلة (IIIM) ليست محكمة ولا تشارك فعلياً في ملاحقة الجرائم، إذ أنّ الغرض منها هو جمع وحفظ أدلة الجرائم التي يمكن أن يستخدمها المدّعون العاقون في المستقبل.^{١٣٠} في حين أن هذا قد يبدو وكأنه تفويض مباشر، إلا أنه يواجه تحديات كبيرة وبعض التقصير.

أنشأت الأمم المتحدة، خلال انعقاد الجمعية العمومية عام ٢٠١٦، ما عرف بالآلية الدولية المحايدة والمستقلة (IIIM) بهدف المساعدة في التحقيق ومقاضاة الأشخاص المسؤولين عن أخطر الجرائم بموجب القانون الدولي المرتكبة في الجمهورية العربية السورية منذ آذار ٢٠١١ وذلك كحل بديل لحق النقض الروسي وشلل مجلس الأمن.

يدّعي الأرشيف السوري، وهو من المجموعات العديدة المتعاونة مع الآلية الدولية المحايدة والمستقلة، والذي يتمحور عمله حول التعامل والحفاظ على الأدلة الرقمية، أنه «تمّ حذف أكثر من مليون مقطع فيديو من سوريا يوثق انتهاكات حقوق الإنسان من منصات التواصل الاجتماعي في سوريا في عام ٢٠١٧، ومع ذلك لقد تمكّننا من استعادة حوالي ٧٠٠٠٠٠ فيلم ولا يزال لدينا عمل لاستعادة الباقي والعامل مع أي سحب محتمل آخر للأدلة»^{١٣١}. «إنّ الغاء أي براهين رقمية»^{١٣٢} على أي مستوى يسدّ الطريق نحو إجراءات العدالة والمساءلة.

وعلى هذا النحو، فإن أحد أوجه القصور المهمة في آلية التحقيق الدولية المستقلة في متابعة المساءلة هو أنها لا تتمتع بصلاحيّة مقاضاة الجناة. فصلاحيّتها تقتصر على جمع المواد لاستخدامها في حال المقاضاة، في قضايا الولاية القضائية العالمية مثلاً. هي قادرة على إعداد الملفات «من أجل تسهيل وتسريع الإجراءات الجنائية العادلة والمستقلة، وفقاً لمعايير القانون الدولي، على المستوى الوطني، والمحاكم أو الهيئات القضائية الإقليمية أو الدولية التي لديها أو قد يكون لها في المستقبل اختصاص على [الجرائم الخطيرة بموجب القانون الدولي]، وفقاً للقانون الدولي»^{١٣٣}.

١٢٩ الآلية الدولية المحايدة والمستقلة، الانتداب <https://iiim.un.org/mandate/>

١٣٠ نفس المرجع

١٣١ مقابلة مع الجالود وحسين (7 شباط 2022)

١٣٢ ملاشي براون، بوتوب يزيل مقاطع فيديو تظهر الفظائع في سوريا، نيويورك تايمز (22 آب 2017) <http://www.nytimes.com/world/Middleeast/syria-youtube-videos-isis.html/22/08/2017/>

١٣٣ الآلية الدولية المحايدة والمستقلة، الحاشية 129 أعلاه

اختصاص في المسائل المتعلقة بحماية مصالحها الخاصة. ومع ذلك، فإن مبدأ الولاية القضائية العالمية يسمح للدولة بمحاكمة الجرائم الخطيرة التي تؤثر بطريقة خطيرة على المجتمع الدولي ككل، حتى لو لم يكن للجريمة أو الجاني المزعوم أو الضحية أي صلة بالدولة المعنيةة.^{١٣٦}

ينطبق مبدأ الولاية القضائية العالمية^{١٣٧} على جرائم مثل الجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب والإبادة الجماعية والتعذيب. ويهدف إلى تقليص فجوة الإفلات من العقاب والقضاء على الملاذات الآمنة حيث يمكن حماية مرتكبي الجرائم البشعة من الملاحقة القضائية. يمكن ممارسة الولاية القضائية العالمية مثلًا عندما ينتقل مجرم حرب معروف إلى بلد آخر لا علاقة له بالبلد الذي ارتكبت فيه الجرائم. الولاية القضائية العالمية هي ولاية قضائية يتم اللجوء إليها كملاذ أخير، ولا يتم استخدامها إلا عندما يكون البلد الذي كان مسرحاً للجرائم غير قادر أو غير راغب في المقاضاة. من المهم التأكيد أن الولاية القضائية العالمية تُمارس على المستوى الوطني وهي ليست آلية دولية. ومن باب التهكم يمكن القول أن الولاية القضائية العالمية ليست على هذا القدر من العالمية طالما نعتمد على قرار الدولة وقوانينها الوطنية.^{١٣٨} فتحدد صلاحياتها ووظيفتها يعتمدان حصراً على الإطار المحلي للدولة المعنيةة مما يجعلها نوعاً ما محلية أكثر منها عالمية. فعلى سبيل المثال، قلّصت إسبانيا نطاق قوانين الولاية القضائية العالمية، بعد سلسلة من القضايا البارزة، بحيث لم تعد تنطبق إلا على القضايا التي تتعلق بمواطنين إسبان أو مصالح إسبانية.^{١٣٩} وفي دول أخرى مثل كندا ونيوزيلندا نجد القانون الدولي والاختصاص القضائي العالمي تعريفات متراخية للقضاء العالمي. في العقد الماضي، كانت ألمانيا، التي لديها أيضاً قوانين متسامحة فيما يخص الاختصاص العالمي،^{١٤٠} سبّاقة في تناول القضايا الدولية^{١٤١} (مراجعة فقرة «استخدام الولاية القضائية العالمية في ألمانيا»). في العام ٢٠١٩، شاركت ١٦ دولة في مرحلة ما من التحقيق في الولاية القضائية العالمية أو عملية المقاضاة،^{١٤٢} وفي العام ٢٠٢٠، تم تقديم ١٨ قضية إضافية مرتبطة بالولاية القضائية العالمية إلى المحاكمة. من أصل ٣٠ محاكمة تطبق الولاية القضائية العالمية في ألمانيا، ٢٦ منها تتعلق بسوريا.^{١٤٣} الخطيب هي إحدى هذه المحاكمات (وتُعرف أيضاً باسم محاكمة كوبلنز)، وهي أول محاكمة في العالم بشأن التعذيب من قبل الدولة في سوريا، وقد بدأت في ألمانيا في نيسان ٢٠٢٠، حيث قاضت أنور ر. وإباد أ.، وهما مسؤولان سابقان في الجهاز الأمني للرئيس السوري بشار الأسد.

^{١٣٦} الاختصاص القضائي، موسوعة برنيانكا <https://www.britannica.com/topic/international-law/Jurisdiction> (آخر زيارة في 25 آذار 2022)

^{١٣٧} يشير الإفلات من العقاب إلى الفجوة الموجودة في المساءلة والتي تؤدي إلى استمرار «الجرائم دون عقاب». راجع أيضاً لجنة الإنقاذ الدولي، الحاشية 36 أعلاه.
^{١٣٨} مقابلة مع يوسف وهبة (6 كانون الأول 2021)

^{١٣٩} الكونغرس الإسباني يسن مشروع قانون يقيد قانون القضاء العالمي الإسباني، مركز العدالة والمساءلة <https://cja.org/spanish-congress-enacts-bill-restricting-spains-universal-jurisdiction-law/?id=740> (آخر زيارة في 25 آذار 2022)

^{١٤٠} الاختصاص العالمي، مركز موارد العدالة الدولية <https://ijrcenter.org/cases-before-national-courts/domestic-exercise-of-universal-jurisdiction> (آخر زيارة في 25 آذار 2022)

^{١٤١} لوفداي موريس، لماذا أصبحت ألمانيا وجهة لمحاكمات جرائم العالم، واشنطن بوست (6 آذار 2021) https://www.washingtonpost.com/world/europe/germany-war-crimes-justice-32e47b42b51b_story.html-8c5e-11eb-7b78-b45372f4/05/03/2021/

^{١٤٢} محاكمة، مجلة القضاء العالمي السنوية لعام https://trialinternational.org/wp-content/uploads/DIGITAL.pdf_2020-TRIAL-International_UJAR/03/2020/2020

^{١٤٣} نفس المرجع

الولاية القضائية العالمية طريق خصب نحو العدالة

يُجمع الناجون من غرف التعذيب التابعة للأسد وكذلك عائلات المختفين والمعتقلين، وأيضاً الخبراء الذين قابلتهم منظمة حقوق الإنسان والحملة «من أجل سوريا» لأعداد هذا التقرير، يجمعون تقريباً على ضرورة وأهميّة تفعيل الولاية القضائية العالمية^{١٤٤} لأنها توفر سبيلاً نحو خلق جوٍّ من المساءلة، وتحدّد أسبقية القانون، وتعزّز ثقافة إنهاء الإفلات من العقاب. نظراً لما سبق وذكرناه أعلاه عن القيود المفروضة على المعالجات القانونية الدولية، «بالنسبة للسوريين الذين يتطلعون إلى اللجوء إلى

سبل انصاف قانونية ضد أولئك الذين انتهكوا حقوقهم، يتبقى لهم المحاكم الوطنية في البلدان التي تعترف بالولاية القضائية العالمية»

فمحاكمات من هذا النوع هي بالغة الأهمية بالنسبة للضحايا ولعائلاتهم كما للناجين، إذ تقوِّض جهود التقاضي هذه، على المدى الطويل، سرديات النظام السوري وترفع من مصداقيّة سرديات ضحايا سوريا. مع إجراء المحاكمات في دول ذات هيئات قضائية مستقلة وذات مصداقية، يحصل الضحايا والناجون على فرصة للتعبير عن حقيقة الجرائم المرتكبة ضدّهم، والحصول على العدالة، كل ذلك يعزّز ويحمي» رواية «الضحايا في سوريا»^{١٤٥} تركّز هذه الإجراءات على روايات الضحايا التي تمّ كتمها لفترات طويلة جدّاً بواسطة ماكينة النظام والبروباغندا التي تصوّر المتظاهرين والمدافعين عن حقوق الإنسان على أنهم متطرّفون عنيفون وإرهابيون ينبغي إسكاتهم من خلال سياسات واستراتيجيات «مكافحة الإرهاب». لميس الخطيب، الذي لا يزال مكان وجود زوجها مجهولاً بعد اخفائه على يد النظام، تقول إن «الولاية القضائية العالمية توفر بارقة أمل لعائلات الضحايا الذين لا يملكون رفاهية الاستسلام ببساطة»^{١٤٦}.

لميس الخطيب، الذي لا يزال مكان وجود زوجها مجهولاً بعد اخفائه على يد النظام، تقول إن «الولاية القضائية العالمية توفر بارقة أمل لعائلات الضحايا الذين لا يملكون رفاهية الاستسلام ببساطة»



لميس الخطيب وباسمين شريجي، من تجمّع «عائلات من أجل الحرية» تقف أمام المحكمة في كوبلنز يوم حكم أنور ر. مصدر الصورة: الحملة السورية / بول واغتر.

١٤٤ عليا مالك، كيف تمّ تقديم مجرم حرب إلى العدالة - في ألمانيا، نيويورك تايمز (25 كانون الثاني 2022) <https://www.nytimes.com/magazine/germany-trial-syria.html/25/01/2022>

١٤٥ محمد العبدالله، المجتمع المدني السوري: «التقاضي الاستراتيجي» دون تخطيط استراتيجي، الجمهورية (5 تشرين الثاني 2020) [https://www.aljumuhiya.net/en/content/syrian-civil-society-\"strategic-litigation\"-no-strategy](https://www.aljumuhiya.net/en/content/syrian-civil-society-\)

١٤٦ مقابلة مع لميس الخطيب (كانون الأول 2021)

الانتقادات وأماكن الضعف

إن «الولاية القضائية الدولية ليست مقارنة شاملة للعدالة والمساءلة ولا تكفي للتصدي للفظائع المرتكبة ضد الشعب السوري.»

احمد حلمي،

المدافع والمؤسس المشارك لمبادرة التعافي



أحمد حلمي واقفاً أمام المحكمة العليا في كوبلنز يوم إصدار الحكم على أنور رمصدر الصورة: الحملة من أجل سوريا بول فاغندر

لا يخلو مبدأ الولاية القضائية العالمية من العيوب وان كانت توقعاتنا محدودة. يخشى مثلاً بعض المراقبين من إمكانية استخدام الولاية القضائية العالمية لاستهداف الأفراد استناداً الى دوافع سياسية، أو ألا يوجد أي إجراء لمنع الملاحقات القضائية المارقة لأعداء الدولة المزعومين. فضلاً عن التّخوف من الإجراءات القانونية الواجبة، وحقوق المشتبه بهم، والمساءلة المزدوجة.^{١٤٧} اتفق الخبراء القانونيون الذين تمت مقابلتهم أثناء إعداد هذا التقرير على أنّه عندما يتعلّق الأمر بتطبيق الولاية القضائية العالمية، ينبغي تخفيف توقّعات المجتمع الدولي والناجين والضحايا وعائلات الضحايا والحفاظ على الموضوعية. يمكن أن يكون تطبيق الولاية القضائية العالمية سيفاً ذا حدّين، إذا لم يتمّ تطبيقه بشكل عادل لصالح الضحايا.

على حدّ تعبير أحمد حلمي، المدافع والمؤسس المشارك لمبادرة التعافي، وقد اعتُقل وتعرّض للضرب المبرح من قبل النظام السوري قبل أن يفرّ إلى أوروبا، فإن «الولاية القضائية الدولية ليست مقارنة شاملة للعدالة والمساءلة» ولا تكفي للتصدي للفظائع المرتكبة ضد الشعب السوري. تركز بعض المخاوف بشأن الولاية القضائية العالمية على قيود عمليّة. وبالتحديد، بموجب القانون الدولي العرفي، يتمتع رؤساء الدول بالحصانة من الولاية القضائية أمام محاكم الدول الأجنبية. حصانة رئيس الدولة هي قاعدة راسخة في القانون الدولي، لكنها يمكن أن تصبح عقبة أمام السعي لتحقيق العدالة عندما ترتكب الدولة جرائم ضد مواطنيها، كما هو الحال في سوريا. بشكل عام، طالما ان الأسد باق في السلطة، لا يمكن محاسبته شخصياً ولا حتى من خلال تطبيق الولاية القضائية العالمية.

يمكن أن يكون تطبيق الولاية القضائية العالمية سيفاً ذا حدّين.

^{١٤٧} هيلي م.خين، إعادة النظر في الولاية القضائية العالمية: تطبيق مبدأ التكامل من قبل المحاكم الوطنية وانعكاساته مثلاً على ما بعد تطبيق العدالة، في الحرب الأهلية السورية 30
[https://scholarlycommons.lawemory.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=2015.261&context=eilr](https://scholarlycommons.lawemory.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=2015.261&context=eilr&https://scholarlycommons.lawemory.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=2015.261&context=eilr)

أخرى يستند إلى معاهدة دولية. على سبيل المثال ، بموجب اتفاقيات جنيف الأربع للعام ١٩٤٩، والتي صدّقت عليها جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، على هذه الدول الالتزام إما بمحاكمة أو بتسليم (aut dedere aut judicare) المشتبه في ارتكابهم انتهاكات جسيمة لاتفاقيات جنيف للعام ١٩٤٩ وبروتوكولها الأول، أو غير

«إنّ الولاية القضائية العالمية وما يشابهها من آليات تعلّم المجرمين بأن جرائمهم لا تُغفر ولا تُنسى»، و«تُظهر لأولئك المجرمين الوقحين الذين يتوهمون بأنهم يستطيعون المضي قدماً بحياتهم، أنهم لا يستطيعون ذلك»

ذلك من المسؤولية عن جرائم الحرب.^{١٤٨} ومع ذلك ، فإن أحكام المعاهدة لا تضمن كفاءة الضباط الذين سينفذون القانون أو الموظفين القضائيين للقاء القبض فعلياً وتسليم المشتبه بهم داخل أراضيهم. كما لا تُوفّر الولاية القضائية العالمية وسائل عمليّة لتسليم الأفراد المتهمين، ولا سيّما أعضاء الحكومة رفيعي المستوى كما أنه لا يُمنع أساساً أولئك الذين يسعون للحصول على تأشيرات للسفر إلى هذه البلدان من الحصول عليها.^{١٤٩} يخلق هذه الوضع قلة تماسك وحالة ضياع حيث يتم محاكمة كل من قبض عليه في دولة الاختصاص القضائي العالمي، وليس فقط أولئك الذين يتحمّلون المسؤولية الأكبر عن الجرائم المعنيّة. الجناة يُحاسبون بطريقة جزئية وليست شاملة.^{١٥٠}

على الرغم من حدودها وقيودها ، فقد وفّرت الولاية القضائية العالمية لضحايا النظام السوري والناجين منه طريقاً للأمل وتعمل إلى حدّ ما «كخطوة أولى نحو العدالة».^{١٥١} على حدّ تعبير حمودي الشعيب، «إنّ الولاية القضائية العالمية وما يشابهها من آليات تعلّم المجرمين بأن جرائمهم لا تُغفر ولا تُنسى»، و«تُظهر لأولئك المجرمين الوقحين الذين يتوهمون بأنهم يستطيعون المضي قدماً بحياتهم، أنهم لا يستطيعون ذلك».^{١٥٢}

١٤٨ مراجعة اتفاقية جنيف المتعلقة بحماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب ، المادة 146 ، 12 آب ، 1949

6F96EE4C7D1E72CAC12563CD0051C63A=https://ihldatabases.icrc.org/applic/ihl/ihl.nsf/Article.xsp?action=openDocument&documentId=287.U.N.T.S.75.3516.U.S.T.6

١٤٩ مقابلة مع لميس الخطيب ، الحاشية 146 أعلاه ، حيث أشارت إلى عدم وجود الإرادة السياسية من جانب الحكومات الأوروبية لمنع الذين تعاونوا أو عملوا مع النظام السوري من الحصول على تأشيرات دخول إلى أوروبا ، بما في ذلك ألمانيا. الملاحظ أنه سواء كان عالمياً أم للاختصاص القضائي المطبق فعلياً غيابياً يشكل موضع نقاش ، وغير مسموح به في بعض الأطر.

١٥٠ مقابلة مع رودجر لو فيليبس، الحاشية 116 أعلاه

١٥١ مقابلة مع وفاء مصطفى، الحاشية 87 أعلاه

١٥٢ مقابلة مع حمودي الشعيب، الحاشية 72 أعلاه

القضية السورية: محاكمة كوبلنز

الحرية للمعتقلين LASST SIE FREI

تمتلك ألمانيا إطاراً محلياً محكماً للولاية القضائية العالمية، وقد خصّصت موارد لبناء قضايا ضد الأفراد المتهمة بارتكاب جرائم خطيرة بموجب القانون الدولي. في العام ٢٠١١، باشرت ألمانيا تحقيقاً هيكلياً في جرائم خطيرة من المحتمل أن تكون قد ارتكبت خلال الصراع السوري.^{١٥٣} البراهين التي جمعت خلال التحقيقات المستمرة وشهادات عدد كبير من اللاجئين السوريين في ألمانيا (ومعظمهم شهدوا مباشرة ارتكاب الفظائع)،^{١٥٤} وقّرت للمدّعين الألمان أساساً قوياً لمتابعة القضايا المتعلقة بالجرائم في سوريا. وفي حين أن العديد من القضايا لا تزال في مراحلها الأولية، فقد تمّ تقديم حالتين للمحاكمة بتهمة التعذيب الذي ترعاه الدولة، بما في ذلك محاكمة كوبلنز ومحاكمة الطبيب السوري علاء م.^{١٥٥} الذي بدأت محاكمته في كانون الثاني ٢٠٢٢ في فرانكفورت، في ألمانيا.

نظرة عامة على الولاية القضائية العالمية في ألمانيا

في العام ٢٠٠٢، أدرجت ألمانيا أحكام نظام روما الأساسي في القانون المحلي، وهو الذي يحكم مبدأ العالمية داخل ألمانيا ويحدّد الجرائم التي تستدعي الولاية القضائية العالمية، ممّا يوفر الإطار القانوني للمدّعين العامين الألمان لمتابعة الاتهامات ضد الأفراد الذين يُزعم أنهم ارتكبوا جرائم جسيمة. كما ورد سابقاً، بالنسبة للجرائم ضد الإنسانية

أصبحت محاكمة أنور ر. وإياد أ. محاكمة تاريخية، كونها أول محاكمة في العالم تتناول التعذيب الذي ترعاه الدولة في سوريا. مجموعات توثيق حقوق الإنسان السورية، والناجون من الاعتقال في ألمانيا، والمنظمات القانونية الدولية، مثل المركز الأوروبي للدستور وحقوق الإنسان (ECCHR)، إلى جانب منظمات غير حكومية أخرى، جميعهم كان لهم دور فعّال في توجيه التهم إلى هاذين المسؤولين السوريين.

وجرائم الحرب والإبادة الجماعية، لا توجد أي قيود على مبدأ الولاية القضائية العالمية، مما يعني أنه لا داعي لوجود أي صلة بألمانيا أو أي تورّط لمواطن ألماني كي تحصل المقاضاة. ومع ذلك، لا يوجد نص للمحاكمة الغيبية، أي أنه يمكن التحقيق في الجرائم وإصدار أوامر اعتقال دون حضور المتهمة فعلياً في ألمانيا، ولكن يجب أن يكون قادراً على المثل أمام المحكمة شخصياً للمحاكمة التي ستجري.

بموجب مبدأ الولاية القضائية العالمية، فتح المدّعون العاقون الألمان أكثر من ١٠٠ تحقيق في جرائم ارتكبت في دول مختلفة، بما فيها سوريا. في العام ٢٠١٨، أصدرت ألمانيا مذكرة توقيف بحق جميل حسن الرئيس السابق لجهاز المخابرات الجوية السورية، على الرغم من بقاءه في سوريا وبالتالي بعيداً عن متناول النيابة العامة الألمانية. في العام ٢٠٢٠،

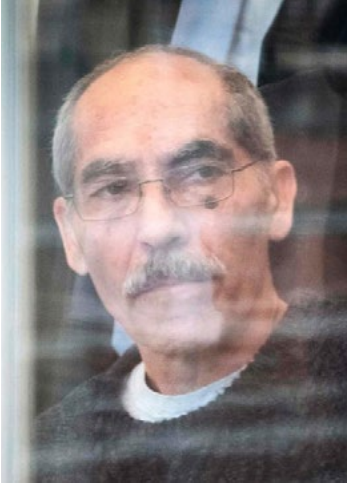
^{١٥٣} لوفداي موريس، الحاشية 141 اعلاه

^{١٥٤} قبل محاكمة مجرمي الحرب السوريين، حاكم المدّعون الألمان اثنين من قادة المتمردين الروانديين للمساعدة والتحصين على جرائم الحرب في جمهورية الكونغو الديمقراطية، بموجب مبدأ الولاية القضائية العالمية في عام 2011. وتستضيف ألمانيا أيضاً ما يقرب من 60% من مليون نازح سوريالذين لجأوا إلى دول الاتحاد الأوروبي. مالك، الحاشية أعلاه 144.

^{١٥٥} إيزابيلا كواي، طبيبة سورية متهمه بارتكاب فظائع، تحاكم في ألمانيا، نيويورك تايمز (19 كانون الثاني 2022) <https://www.nytimes.com/world/europe/germany-syria-war-crimes-mousa.html/19/01/2022>

أصبحت محاكمة أنور ر. وإياد أ. محاكمة تاريخية، كونها أول محاكمة في العالم تتناول التعذيب الذي ترعاه الدولة في سوريا. مجموعات توثيق حقوق الإنسان السورية، والناجون من الاعتقال في ألمانيا، والمنظمات القانونيّة الدوليّة، مثل المركز الأوروبي للدستور وحقوق الإنسان (ECCHR)، إلى جانب منظمات غير حكوميّة أخرى، جميعهم كان لهم دور فَعّال في توجيه التهم إلى هاذين المسؤولين السوريين.

محاكمة أنور ر. وإياد أ



أنور ر.

مصدر الصورة: أنور توماس لونيس.

كان أنور ر. رئيساً لوحدة تحقيق في المخابرات العامة فرع الخطيب، أو الفرع ٢٥١ في العاصمة السورية، دمشق. وبهذه الصفة، طبّق نظام الاعتقال والتعذيب وأشرف عليه، حتى انشقّ وهرب من سوريا في العام ٢٠١٢. وفي الأردن، انضمّ إلى المعارضة السورية، وأصبح يحظى باحترام كبير لدرجة أنه كان مع أحد الوفود المشاركة في المفاوضات في جنيف. كونه عضواً في المعارضة فُتح له الطريق للحصول على حق اللجوء إلى ألمانيا، حيث استقرّ في العام ٢٠١٤ مع أسرته.^{١٥٦}

لفت أنور ر. انتباه السلطات الألمانية عندما قصد الشرطة طلباً للحماية لأنه كان يخشى أن يستهدفه النظام السوري بسبب انشقاغه. وأثناء حديثه مع الشرطة، قدم سرداً مفصلاً لدوره في استمرار التعذيب والعنف الجنسي والقتل برعاية الدولة في الفرع ٢٥١. فأثارت المعلومات التي قدّمها إلى الشرطة التحقيق في قضيته. على غرار أنور ر.، ورّط إياد أ. نفسه

عندما تحدّث إلى السلطات، وقدم وصفاً شاملاً لدوره في العمل في ظلّ نظام الأسد. كان إياد أ. أحد مرؤوسي أنور ر.، حيث قام باعتقال ونقل المحتجزين إلى الفرع ٢٥١ على الرغم من إدراكه أنهم سيتعرّضون هناك للتعذيب وربما للقتل. ولم يُزعم أنه شارك بنفسه في تعذيب أو ضرب المعتقلين.

تمّ القبض على الرجلين في ١٢ شباط ٢٠١٩ في ألمانيا، ووُجّهت إليهما لائحة اتهام رسمية في كوبلنز في ٢٢ تشرين الأوّل من نفس العام. أنور ر. متّهم بارتكاب.



إياد أ. في قاعة المحكمة الإقليمية العليا في كوبلنز. مصدر الصورة: وكالة فرانس برس.

جرائم ضد الإنسانية ب ٤٠٠٠ تهمة تعذيب و ٥٨ جريمة قتل واغتصاب وإكراه جنسي. إياد أ. متّهم بالمساعدة في ارتكاب جرائم ضد الإنسانية. بدأت محاكمتهم في ٢٣ نيسان ٢٠٢٠. في البداية، كان من المقرّر محاكمة الرجلين بشكل مشترك على الرغم من أن التشابه الوحيد الواضح بين قضيتهم هو ارتباطهما بالفرع ٢٥١، إلا أنّ القاضي أمر بفصل القضيتين

١٥٦ حنة الحطامي، شعروا بأمان شديد: كيف انتهى الأمر بعميلين سوريين إلى المحاكمة في ألمانيا (4 أيار 2020). [Justiceinfo.net](https://www.justiceinfo.net/en/they-felt-too-safe-how-two-syrian-agents-ended-up-on-trial-in-germany.html-44207) <https://www.justiceinfo.net/en/they-felt-too-safe-how-two-syrian-agents-ended-up-on-trial-in-germany.html-44207>

وفي سابقة تاريخية، وبتاريخ ٢٤ شباط ٢٠٢١، أُدين إياد أ. وحُكم عليه بالسجن لمدة أربع سنوات ونصف.^{١٥٧} وبعد حوالي السنة، في كانون الثاني ٢٠٢٢، حُكم علي أنور ر. بالسجن المؤبد لقتله ما لا يقل عن ٢٧ شخصًا وتعذيب ٤٠٠٠ شخصاً على الأقل في أحد مراكز الاعتقال في دمشق.^{١٥٨} على الرغم من أن المحاكمات والأحكام نفسها «لن تحقق العدالة لجميع السوريين بالتأكيد»، تُعتبر مع ذلك «إنجازات بالغة الأهمية» حتى في نظر أولئك الذين عانوا مباشرة على أيدي هؤلاء الجناة. ووفقاً لذلك، فإن «المحاكمة في كوبلنز (ألمانيا) هي محطة مهمة على طريق السعي لتحقيق العدالة للسوريين»،^{١٥٩} لأنه «من خلال متابعة مثل هذه الآليات القانونية، يتم التأكيد على عدم شرعية النظام مرارًا وتكرارًا».^{١٦٠} بالنسبة لحسين غرير، وهو أحد ضحايا الفرع ٢٥١ الناجين، هذه المحاكمات جاءت في يوم اعتقد هؤلاء أنهم «لن يشهدوا مثله أبدًا».^{١٦١} كما يصف أنور البني المحاكمات بأنها «علامة بارزة في تاريخ العدالة، ليس فقط في سوريا بل في العالم أجمع».^{١٦٢}

وفي سابقة تاريخية، بتاريخ ٢٤ شباط ٢٠٢١، أُدين إياد أ. وحُكم عليه بالسجن لمدة أربع سنوات ونصف، وبعد حوالي السنة، في كانون الثاني ٢٠٢٢، حُكم علي أنور ر. بالسجن المؤبد لقتله ما لا يقل عن ٢٧ شخصًا وتعذيب ٤٠٠٠ شخصاً على الأقل في أحد مراكز الاعتقال في دمشق.

^{١٥٧} كلوديا أوتو وتمارا قبلاوي وستيفاني هالاسز، لأول مرة في العالم، ألمانيا تدين ضابطاً في النظام السوري بارتكاب جرائم ضد الإنسانية، CNN (24 شباط 2021، 8:26 صباحاً بالتوقيت الشرقي) <https://www.middleeast/syria-germany-officer-convicted-intl/index.html/24/02/2021/cnn.com>

^{١٥٨} فيليب أولترمان، سجون المحكمة الألمانية، ضابط المخابرات السورية السابق مدى الحياة، الجارديان (13 يناير 2022، 6:12 صباحاً بالتوقيت الشرقي) <https://www.theguardian.com/world/2022/german-court-jails-former-syrian-intelligence-officer-anwar-raslan-for-life/13/jan>
تجدد الإشارة إلا أنه في الوقت الذي كان أنور ر. يحاكم فيه من قبل المدعين الألمان للإشراف على تعذيب 4000 شخص في الأيام الأولى من الانتفاضة، والتي أدت إلى مقتل 58 سجين منهم على الأقل، كانت محاكمته في كوبلنز تستند على تورطه بقتل 27 سجين.

^{١٥٩} رودجر لو فيليبس، قطرة في المحيط: تقييم أولي لمحاكمة كوبلنز بشأن التعذيب السوري، الأمن العادل (22 نيسان 2021) <https://www.justsecurity.org/75849/a-drop-in-the-ocean-a-preliminary-assessment-of-the-koblentz-trial-on-syrian-torture/>

^{١٦٠} مقابلة مع لميس الخطيب، الحاشية 146 أعلاه

^{١٦١} حسين غرير، محاكمة كوبلنز: خطوة صغيرة نحو العدالة من أجل سوريا، الجزيرة (23 كانون الثاني 2022) <https://www.aljazeera.com/opinions/23/1/2022/koblentz-trial-one-small-step-towards-justice-for-syria/>

^{١٦٢} مقابلة مع أنور البني، الحاشية 118 أعلاه

العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي كجريمة ضد الإنسانية

إحدى المسائل الجديّة التي ظهرت في سياق محاكمة كوبلنز كانت مقارنة الجرائم الجنسية والعنف القائم على النوع الاجتماعي (SGBV). هناك سابقة تاريخية للاعتراف بجرائم العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي كجرائم ضد الإنسانية. في قضية دوشكو تاديتش في المحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا السابقة، رأت المحكمة أن فعل اغتصاب واحد يثبت ارتكابه كجزء من اعتداء واسع النطاق ضد سكان مدنيين، يمكن اعتباره جريمة ضد الإنسانية.^{١٦٣} وقياساً على ذلك، سيُطبّق نفس المعيار على أي حالة اغتصاب تحصل في مراكز الاعتقال السورية. ومع ذلك، في لائحة الاتهامات في قضية كوبلنز، اعتُبرت حالات العنف الجنسي بمثابة أفعال منعزلة، وليست جزءاً من اعتداء منهجي وواسع النطاق ضد السكان المدنيين.

موافقة المحكمة على طلب المدّعين بـ «إعادة تصنيف التهم على أنها جرائم ضد الإنسانية تتعلق بالجنس، يساعد حتماً على التأكيد على أن العنف الجنسي كان مسألة سياسة و كان يستخدم كسلاح من قبل الحكومة السورية.»

على عكس تهم التعذيب وحجز الحرية والقتل، التي تعتبر جرائم ضد الإنسانية، ضمنت لائحة الاتهام الأولية ضد أنور ر. جرائم العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي بموجب القانون الوطني (القانون الجنائي الألماني)، وليس القانون الدولي. على الرغم من ذلك، دعم المدّعي الفيدرالي طلباً من الممثلين القانونيين للناجين لتعديل التهم لمعاملة جرائم العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي على أنها جرائم ضد الإنسانية، وهذا تطوّر مهمّ في كيفية النظر إلى العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي بموجب القانون الدولي.^{١٦٤}

وفقاً لروجر لو فيليبس، المدير القانوني في المركز السوري للعدالة والمساءلة (SJAC)، فإنّ موافقة المحكمة على طلب المدّعين بـ «إعادة تصنيف التهم على أنها جرائم ضد الإنسانية تتعلق بالجنس، يساعد حتماً على التأكيد على أن العنف الجنسي كان مسألة سياسة و كان يستخدم كسلاح من قبل الحكومة السورية.»^{١٦٥} يُعدّ هذا التطوّر لافتاً، لأن عدم الاعتراف بوقوع هذه الأفعال في سياق الجرائم ضد الإنسانية يمثل إشكالية، من جهة من حيث اختلاف المساءلة القانونية حيال تلك الأفعال

^{١٦٣} المدعي العام ضد تاديتش IT Judgment-1-94-Case No. A, 248 محكمة الدولية الخاصة بيوغوسلافيا سابقا. 15 تموز 1999-
<https://www.icty.org/x/cases/tadic/acjug/en/tad-aj990715e.pdf>

^{١٦٤} ألكسندرا ليلي كاتر وألكسندر شوارتز. الاضطهاد الديني والعنف القائم على النوع الاجتماعي المتقاطع في قضية الإبادة الجماعية البزديّة: طلب تمديد العقوبات، الأمن العادل (24 شباط 2021) <https://www.justsecurity.org/74943/intersecting-religious-and-gender-based-persecution-in-yazidi-genocide-case-a-request-for-an-extension-of-charges/> مقابلة مع الكسندرا ليلي كاتر، الحاشية 93 أعلاه

^{١٦٥} لو فيليبس، الحاشية 159 أعلاه

ومن جهة أخرى من حيث ارساء سابقة في كيفية التعامل مع جرائم العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي. إن محو صفة الجرم ضد الإنسانية عن جرائم العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي له أيضاً تداعيات عميقة الأثر على تجارب الناجين وخبراتهم وامكانية وصولهم إلى العدالة.

العنف الجنسي ووالعنف القائم على النوع الاجتماعي الذي تمارسه الدولة، ضمن سياق مسييس، يخضع لسيناريو مختلف تمامًا عن العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي الذي يحدث في حالة العنف المنزلي ومن المهم أن ينعكس هذا التمييز في الإجراءات القانونية. يُعتبر التعامل مع العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي كجريمة ضد الإنسانية كاعتراف بأنه جريمة دولية تهم المجتمع الدولي ككل ، وليس «فقط» جريمة وطنية.^{١٦٦}

يرجع جزء من التناقض في معاملة جرائم العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي مقارنة بالجرائم الأخرى ضد الإنسانية إلى الافتراضات الممكنة فيما يتعلق بالأدلة والقدرة على الحصول على الشهادة.

فصور قيصر، على سبيل المثال، كانت دليلاً رئيسياً في محاكمة كوبلنز، وفي حين أنها تُظهر بوضوح آثار التعذيب ، فهي لا تساعد على إظهار أدلة على العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي. فجميع الصور تقريباً تُظهر رجالاً، مستلقين على الظهر بمعظمهم بينما لا تظهر فتحة الشرج أو أي علامة لاعتداء جنسي. تم تصوير امرأة واحدة فقط وكانت مرتدية ثيابها. ولم يُعرف ما

العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي الذي تمارسه الدولة، ضمن سياق مسييس، يخضع لسيناريو مختلف تمامًا عن العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي الذي يحدث في حالة العنف المنزلي ومن المهم أن ينعكس هذا التمييز في الإجراءات القانونية.

حصل لأجساد النساء الأخريات. ومع ذلك، وبالرغم من تأكيد حصول عنف جنسي وجنساني داخل مراكز الاعتقال، فقد يبقى من الصعب الحصول على أدلة لعرض هذه الحقائق. قد يفترض المدّعون أيضاً أنه يمكن الحكم في الجرائم الأخرى ضد الإنسانية بسهولة، في حين أن جرائم العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي قد تكون أكثر تعقيداً ويصعب إثباتها. هناك أيضاً افتراض بأن الناجين من العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي لن يكونوا مستعدين للإدلاء بشهادتهم. ومع ذلك، فإنّ أيّاً من هذه الافتراضات لا تستند إلى الواقع. إذ غالباً ما يكون العنف الجنسي قابلاً للمقاضاة، ويكون الناجون على استعداد للإدلاء بشهادتهم، بشرط أن يحصلوا على الدعم الهيكلي للقيام بذلك، والمتمثل بالمساعدة النفسية والطبية ومساندة المجتمع لهم.^{١٦٧}

١٦٦ المركز الأوروبي من أجل الحقوق الدستورية وحقوق الإنسان ، محاكمة الخطيب في كوبلنز: العنف الجنسي أصبح يدان كجرائم ضد الإنسانية (17 آذار 2021). <https://www.ecchr.eu/en/press-> مقابلة مع الكسندرا ليلي كاتر، الحاشية 93 أعلاه.

١٦٧ حنا الحطامي ، محاكمات السورية واليزيدية: لماذا يريد محامو الضحايا النظر في العنف الجنسي. JusticelInfo.net (5 شباط 2021) <https://www.justiceinfo.net/en/syrian-and-yazidi-trials-sexual-violence.html-73307/> <https://www.ecchr.eu/en/topic/sexual-and-gender-based-violence-> مقابلة مع الكسندرا ليلي كاتر، الحاشية 93 أعلاه. (آخر زيارة في 25 شباط 2022)

مثال على الدعم النفسي الذي يمكن تقديمه هو حملة طريق سوريا إلى العدالة،^{١٦٨} بالتعاون مع منظمات بدائل، ودولتي، والنساء الآن من أجل التنمية، وشبكة الصحفيات السوريّات و الحملة من أجل سوريا، والتي تدعو جميعها إلى فتح المجال أوسع أمام الناجين من العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي للوصول إلى العدالة. انطلقت الحملة في ١٨ حزيران ٢٠٢٠، أي قبل يوم واحد من تقديم أول شكوى جنائية في ألمانيا والمتعلّقة بالعنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي في مراكز الاحتجاز. كان من أغراض الحملة خلق شبكة دعم للناجين تحسباً لردات الفعل العنيفة من الجالية السورية حول الاتهامات.

بالموازاة، هناك حركة جديدة تعمل على إعادة تصنيف جرائم العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي على أنها جرائم ضد الإنسانية في القانون الألماني للجرائم ضد القانون الدولي، في محاولة للاعتراف بها على هذا النحو في وقت لاحق على لوائح الاتهام والمذكرات. هناك أيضاً جهود لسدّ «فجوة التوثيق» المتعلقة بالعنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي إذ انها أقل توثيقاً من الاعتداءات الأخرى في النزاع، مثل الضربات الجوية أو التعذيب. شهادة الناجين المنشقين، وشهود العيان، وكذلك التقارير الطبية، تُظهر أن نفس الوسائل تُستخدم عبر مختلف مراكز الاحتجاز،^{١٦٩} ممّا يشير إلى استراتيجية منهجية والى اتفاق وتواصل حول أساليب التعذيب. فاعطاء النساء حبوب منع الحمل مثلاً يظهر التخطيط المسبق ومستوى التنسيق المتوافق مع العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي ويشكّل جزءاً من اعتداء أوسع ومنسّقاً ضدّ المعتقلين، بدلاً من افتعال أعمال عشوائية ومعزولة داخل مراكز الاعتقال. باختصار، هناك أدلة كثيرة على أن العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي قد استُغلّ عمداً من قبل النظام ولم يكن نتيجة أفعال فردية انتهازية.^{١٧٠}

يُعتبر التعامل مع العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي كجريمة ضد الإنسانية بمثابة اعتراف بأنه جريمة دولية تهّم المجتمع الدولي ككل، وليس «فقط» جريمة وطنية.

١٦٨ <https://women-now.org/the-syrian-road-to-justice-campaign> حملة الطريق السوري نحو العدالة . نساء الآن من أجل التنمية (15 تشرين الأول 2020)

١٦٩ المركز الأوروبي من أجل الحقوق الدستورية وحقوق الإنسان ، الحاشية 68 أعلاه

١٧٠ .مراجعة لجنة التحقيق الدولية المستقلة بشأن الجمهورية العربية السورية ، الحاشية 67 أعلاه ؛ ماري فوريسستير، «هل تريد الحرية؟ هذه حريتك»: الاغتصاب كتكتيك لنظام الأسد . مركز كلية لندن للاقتصاد من أجل المرأة والسلام والأمن (أذار 2017)

http://eprints.lse.ac.uk/2017_3_WP/8/69475/pdf مقابلة مع الكسندرا ليلي كاتر، الحاشية 93 أعلاه

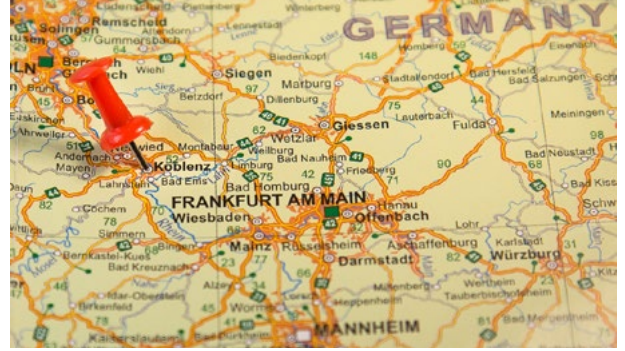
حدود محاكمة كوبلنز

صحيح أنّ محاكمات كوبلنز هي تاريخية وقد كانت مؤخرًا أكثر السبل فعالية للمساءلة القانونية المتاحة للسوريين، إلا أنها لا تخلو من محدّدات وقيود. فبالإضافة إلى انتقادات الولاية القضائية العالمية كمبدأ، هناك أيضًا قيود خاصة بالتعامل مع قضيتي أنور وإياد أ.، بما في ذلك العيوب العمليّة والمفاهيمية.

كوبلنز، ألمانيا كموقع للمحاكمة

كان هناك حواجز ثقافية متأصلة في عملية اجراء محاكمة لقضية سورية في ألمانيا. ففي محاكمة أنور وإياد أ. أدّى العديد من هذه الحواجز إلى صعوبة الوصول الى مجتمع الشتات السوري. على سبيل المثال، تمّت مجريات المحاكمة باللغة الألمانية، دون وجود ترجمة عربية متاحة للحضور خلال جلسات الاستماع، حتى بين الصحفيين المعتمدين. فمُنظّمات المجتمع المدني السوري أو الأفراد الذين يفتقرون إلى ترخيص لممارسة القانون في ألمانيا (أو دول أوروبية أخرى)، وهم بطبيعة الحال غير متمرّسين

بالنظام القضائي الأجنبي، قد اعتمدوا على المحامين الألمان والمنظمات الدوليّة للمساعدة في إيداع ومحاكمة القضايا. وان كان هذا ضروريًا، فقد أدّى في بعض الأحيان إلى شعور المدافعين السوريين عن حقوق الانسان بالإقصاء، إذ وجدوا أنفسهم عاجزين عن المشاركة الكاملة في العملية أو عن الحصول على نفس المعلومات التي حصل عليها نظراؤهم الألمان. كان لديهم شعور قوي بأنهم «الأخريين» في المحاكمة، بغياب



خريطة ألمانيا مثبتة في كوبلنز. اعتمادات الصورة: Shutterstock.

الاحساس بالاختلافات الثقافية أو اللغوية أو فهمها ممّا له تأثير عميق على العدالة، لا سيّما أنّ المحامين والقضاة الألمان ليسوا أليفين مع الثقافة السورية. ظهر هذا النقص بوضوح بالنسبة للناجين من العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي. فعند بداية المحاكمة، كان جميع محاميّ الادعاء والدفاع وكذلك معظم الشهود من الذكور. لقد ساهم استبعاد النساء من قاعة المحاكمة في خلق جوّ أكثر تحديًا وأقلّ تعاطفًا لفهم جرائم العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي.^{١٧١}

بالنظر إلى مكان اعتقال كل من أنور ر. وإياد أ. كان من الممكن اجراء المحاكمة في أي من كوبلنز (حيث تمّ اعتقال إياد أ) أو برلين (حيث تم القبض على أنور ر.). على عكس كوبلنز، كان لدى محكمة برلين بالفعل عدد كبير من القضايا المتراكمة للنظر فيها، مما يعني أن الجدول الزمني للمحاكمة كان سيحتمّ تأجيل المحاكمة. فبدلاً من ذلك، اختار المدّعون إقامة القضية في كوبلنز.^{١٧٢}

١٧١ العبدالله، الحاشية ١٤٥ أعلاه

١٧٢ لو فيليبس، الحاشية ١٥٩ أعلاه

ولكن، بما أنه لا يوجد في كوبلنز عدد كبير من السكّان غير الألمان، تمّ الاستعانة بقضاة لديهم خبرة قليلة في التعامل مع القضايا المتعلقة بالسكّان غير الألمان ولا يستوعبون خصائص الصراع السوري الدقيقة، ولا يفهمون تماماً الثقافة السورية.^{١٧٣} علاوة على ذلك، موقع كوبلنز الجغرافي ليس مركزياً ولا يمكن الوصول إليها مثل برلين، خاصّة مع مراعاة قيود السفر بسبب جائحة COVID-19. لذلك، كان الأمر أصعب بالنسبة لسوريي الشتات ولوسائل الإعلام لحضور جلسات المحاكمة.

الاهتمامات والتداعيات المستندة إلى الجوانب الفنية القانونية

نشأت بعض المخاوف بشأن محاكمة كوبلنز من جهة التقنيّات القانونية. فقد كان التركيز بصورة خاصّة على الجرائم التي ارتكبها أنور ر. أو إياد أ. أما الناجون الذين تم احتجازهم في فرع مختلف أو جهاز استخبارات مختلف، أو الذين مرّوا بالاعتقال في المركز نفسه ولكن في فترات زمنيّة مختلفة فقد مُنعوا من المشاركة ومن الادلاء بشهادتهم على الرغم من القضية السورية: محاكمة كوبلنز تعرّضهم لنفس المعاملة. صحيح أن مثل هذه الحدود تكون موجودة في كل القضايا، إلا أنّ حرمان العديد من الناجين من فرصة التحدّث عن محنتهم في المحكمة أدّى الى سردية ناقصة وغير شاملة في المحضر. بالإضافة الى أنّ بعض السوريين الذين وافقوا على الادلاء بشهاداتهم في كوبلنز تعرّضوا إما للتهديد المباشر أو للتهديد بسلامة عائلاتهم، مما أجبر بعضهم على الانسحاب من القضية برمتها.^{١٧٤}

وكانت إحدى المسائل التي تم مواجهتها في محاكمة كوبلنز هي ما إذا كان يجب محاكمة شخص بعد أن يدلي بشهادته أو معاملته كشاهد متعاون. فالمطلعون من داخل النظام يمكنهم تقديم معلومات ثمينة جدّاً حول الطرقات التي يعمل بها النظام،

وكيف يتمّ إصدار الأوامر، ومن هو المسؤول النهائي عن ارتكاب الفظائع. كشهود متعاونين، قد يكون هؤلاء الأفراد لا يُقدّرون بثمن لبناء قضية ضد رؤسائهم. ولكن، يمكن أن تضيع هذه الفرصة إذا تمّت مقاضاة الشاهد المعنّي عوضاً عن ذلك. فضلاً عن أنّ هذه الملاحظات قد تكون بمثابة رسالة إلى أعضاء آخرين في النظام مفادها أنهم سيحاسبون حتى لو انشقّوا، ممّا قد يوقر حافزاً لهم للبقاء في كنف النظام بدلاً من مغادرته. ومع ذلك، وفي الوقت نفسه، فإن عدم مقاضاة الأفراد الذين يتحمّلون المسؤولية عن الجرائم الشنيعة يضرّ بالعديد من ضحاياهم ويضرّ عامة بمهمّة السعي لتحقيق العدالة.

الأهم من ذلك، أن بعض الناجين يجدون بأن هناك أدلّة كافية من شهادات المعتقلين السابقين لإثبات أن معاملة الجناة كشهود متعاونين ليست بالضرورية.^{١٧٥}

بالإضافة الى ان بعض
السوريين الذين وافقوا
على الادلاء بشهاداتهم
في كوبلنز تعرّضوا إما
للتهديد المباشر أو
للتهديد بسلامة عائلاتهم،
مما أجبر بعضهم على
الانسحاب من القضية
برمتها.

^{١٧٣} نفس المرجع

^{١٧٤} نفس المرجع. أنالمقابلات التي أجرتها مؤسسة حقوق الإنسان والحملة من أجل سوريا للعدد هذا التقرير أشارت الى هذه النقطة مراراً وتكراراً. مما يشير إلى ان المنظمات غير الحكومية والشرطة الألمانية لم يتمكنوا من توفير حماية شاملة للشهود طوال المحاكمة.

^{١٧٥} مقابلة مع رودجر لو فيليبس، الحاشية ١١٦ أعلاه، مقابلة مع انور البني الحاشية ١١٨ أعلاه

قيود الولاية القضائية العالمية على الجرائم في سوريا

أخيراً، كان هناك بعض التحوّفات حيال محاكمة كوبلنز بشأن مدى تأثير الملاحقات القضائية التي أثارها. فقد استهدفت محاكمة كوبلنز، مثل أي محاكمة قضائية عالمية، أفراداً معيّنين في حالة كوبلنز، المتهمان المعيّنان كانا ضابطاً من رتبة دنيا وضابطاً آخر متوسط الرتبة، بينما بقي أصحاب المراتب العليا في النظام محصنين

ولا يُمسّ بهم. المحاكمات الفردية لموظفي الدرجات المتدنية نسبياً تؤدي إلى إصلاح النظام بأكمله وهو الذي الذي سمح بارتكاب الجرائم ضد الإنسانية. قد تحاسب المحاكمات بعض الجناة بالتحديد، لكنها لا تغيّر التعذيب المأساس. هناك حدّ معيّن لمقدار التغيير الذي يمكن أن تحدثه محاكمة واحدة، لا سيّما فيما يتعلق بالتأثير على الأفراد الذين لا يزالون رهن الاحتجاز في سوريا. لم يتم إجراء دراسات لإظهار مدى تأثير سجن مجرم حرب على مجتمع معيّن، أو ما إذا كان يمكن أن يؤدي هذا إلى التحوّل الضروري لذلك المجتمع كي يتجاوز الصراع. مع التأكيد على أنّ المحاكمة تحمل فوائد استراتيجية وإيجابية (سوف يتم عرضها بالتفصيل في القسم التالي)، يبقى مهماً ألا نبالغ في تقدير الدرجة التي قد تؤثر بها على التجارب التي اختبرها الناجون السوريون.^{١٧٦}

**لميس الخطيب
تشير إلى المفارقة
في أن تجري المحاكمات
بموجب مبدأ الولاية
القضائية العالمية بينما
الجرائم في سوريا
مستمرة والنظام نفسه
لا يتأثر.**



لميس الخطيب امام محكمة كوبلنز العليا في تموز ٢٠٢٠. المصدر: ماكس أيكي

لاحظ معظم الذين تمّت مقابلتهم من أجل وضع هذا التقرير، وجود ثغرات في هذه المقاربة للعدالة. تشير لميس الخطيب، وهي سيّدة فلسطينية سورية مقيمة في ألمانيا وعضوة في حركة عائلات من أجل الحرية، حركة نسائية تقود حملة من أجل إنهاء الاختفاء القسري والقمع السياسي،^{١٧٧} اختفى زوجها، وكان صحفياً مستقلاً، في العام ٢٠١٥ في سوريا، تشير إلى مفارقة أن تجري المحاكمات بموجب مبدأ الولاية القضائية العالمية بينما الجرائم في سوريا مستمرة والنظام نفسه لا يتأثر.^{١٧٨} بعض الخبراء مثل محمد العبد الله، المدير التنفيذي

للمركز السوري للعدالة والمساءلة، وقد سُجن مرتين من قبل النظام السوري لدفاعه عن حقوق الإنسان والضغط من أجل الإصلاح السياسي، فيحذر من العواقب السلبية العميقة ومن تأثير هذه المحاكمات على السوريين الذين ينتظرون تحقيق شكل من أشكال العدالة. وفي الخلاصة، إن المبالغة في الوعود المتعمّدة، والتوقعات المبالغ فيها، والاستزلام المدروس للجمهور السوري، كلّها عوامل « يمكن أن تؤدي إلى آثار خطيرة وطويلة الأمد على الناجين وعلى عائلات الضحايا تتجاوز ما يواجهونه حالياً ».^{١٧٩}

١٧٦ العبد الله ، الحاشية 145 أعلاه ؛ مقابلة مع الكسندرا ليلي كاتر، الحاشية 93 أعلاه ؛ مقابلة مع أحمد حلمي ، الحاشية 18 أعلاه ؛ مقابلة مع لميس الخطيب ، حاشية 146 أعلاه.

١٧٧ (آخر زيارة 25 آذار 2020) عائلات من أجل الحرية. <https://syrianfamilies.org/en/>

١٧٨ مقابلة مع لميس الخطيب، الحاشية 146 أعلاه

١٧٩ مقابلة مع محمد العبدالله (4 تشرين الثاني 2020)

تداعيات المحاكمة

على الرغم ممّا ورد سابقاً عن عيوب وحدود محاكمات الاختصاص العالمي في ألمانيا، فإن محاكمة كوبلنز تبقى علامة بارزة في تاريخ العدالة. إنّ ادانة إياد أ وأنور ر. لها آثار بعيدة المدى على الناجين من نظام الأسد، وعلى السياسة العالمية وأيضاً على النظام القانوني الدولي.

**يشير أحمد حلمي إلى أن
المحاكمة تدل على انعدام
مبدأ الألوهية المعهودة إذ
«انهم ليسوا آلهة لا يمكن
المساس بهم».**

بالنسبة للناجين السوريين، وخاصة الناجين من الفرع ٢٥١، تُظهر محاكمة كوبلنز أن الجناة ومرتكبي انتهاكات حقوق الإنسان يُمكن ان يلاحقوا، ويمكن محاسبتهم على تلك الانتهاكات. أشارت وفاء مصطفى إلى أنه قبل محاكمة كوبلنز، كان السوريون يعرفون العدالة من الناحية النظرية فقط لانهم لم

يسبق أن عاشوا في ظلّ نظام قانوني عادل. فهذه المحاكمة تشكّل المرة الأولى التي يُحاسب فيها الجناة.^{١٨٠}

ويشير أحمد حلمي إلى أن المحاكمة تدل على انعدام مبدأ الألوهية المعهودة إذ «انهم ليسوا آلهة لا يمكن المساس بهم».^{١٨١} إن عدم اتخاذ إجراءات حاسمة من جانب المجتمع الدولي لفترات طويلة، قد سمح للنظام بارتكاب الفظائع دون خوف من العواقب. إن الخطوات الأولى لما يعتبر بداية على طريق المساءلة من خلال محاكمات الولاية القضائية العالمية ترسل رسالة إلى أعضاء نظام الأسد وكذلك إلى الناجين. أولئك الذين يواصلون ممارسة التعذيب أو ارتكاب جرائم خطيرة أخرى في سوريا يدركون الآن أنه قد تكون هناك عواقب لتلك الأفعال.^{١٨٢} من المحتمل أن تؤدي إمكانية المساءلة إلى ردع سلوك بعض الأفراد والتأثير على حساباتهم حول ما إذا كان خطر ارتكاب الجرائم يستحق المخاطرة بمواجهة العواقب القانونية. على الأقل، فإن احتمال الاعتقال قد يحدّ من حركة الأفراد المتهمين وقد يغيّر بعضاً من سلوكهم. فالمجتمع الدولي لن يستمرّ في التسامح والتغاضي عن الفظائع.^{١٨٣}

١٨٠ مقابلة معوفاء مصطفى، الحاشية 87 أعلاه

١٨١ مقابلة مع احمد حلمي، الحاشية 18 أعلاه

١٨٢ أشار العديد من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم إلى أهمية ذلك، عند مقابلتنا مع أحمد حلمي، الحاشية 18 أعلاه، مثلاً، ذكر أن تلك المحاكمات تخلق «قوة دفع نحو المحاسبة» و«تحذّر كل من يرتكبون أعمال التعذيب في سوريا أنهم لن يتمكنوا من العيش بسلام والاستماع بما بقي لهم من وقت في أوروبا»

١٨٣ مقابلة مع باتريك كروكر (4 تشرين الثاني 2020)، مقابلة مع ايريك ويت (30 كانون الثاني 2020)، مقابلة مع أحمد حلمي، الحاشية 18 أعلاه

الأثار المترتبة على المجتمع العالمي والدولي السوابق القانونية

أحد الجوانب الفريدة لقضية كوبلنز هو أن المحاكمة جرت بينما كان الصراع في سوريا مستمرًا. فتاريخيًا ، لم تُرفع القضايا أو تُنشأ المحاكم إلا بعد انتهاء النزاعات، و فقط

«بالرغم من أنه يصعب على أي محاكمة أن تلبي جميع مطالب المساءلة والعدالة، لا سيما في ظل هذا الانتشار الواسع للفظائع المرتكبة، إلا أن هذه المحاكمة مهمة للغاية، وخاصة بالنسبة لأولئك المتضررين بشكل مباشر من الجرائم المطروحة قيد التحقيق. أنها تظهر أنه يمكن بناء القضايا واعتقال المتهمين وتقديمهم للمحاكمة»

إريك ويت

الرئيس التنفيذي لمبادرة عدالة المجتمع المفتوح

لمحاكمة الأفراد الذين ينتمون إلى الجانب الخاسر في الصراع. بالمقابل، وعلى الرغم من انشقاقهما في وقت سابق، كان أنور ر. وإياد أ. عضوين في نظام لا يزال في السلطة حاليًا. إن قضية كوبلنز، بالإضافة إلى مذكرات التوقيف الأخرى الصادرة والإجراءات الجنائية التي بدأت ضد مشتبهين آخرين مرتبطين بالنظام، لافتة للنظر من حيث أنه ليس الجانب الخاسر هو الذي يتم محاسبته.^{١٨٤}

محاكمة كوبلنز، كما كل القضايا العالمية المستقبلية بشأن النظام السوري، لها أيضًا تداعيات على العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع نظام الأسد. تتحرك العملية القانونية بشكل مستقل عن أي عمليات سياسية أو عسكرية. فالمحاكمات الجنائية، بطبيعتها، موثوقة الدلائل التي تتم مناقشتها والبت فيها في جلسة محاكمة علنية، وهبذلك لها وزن ويصعب رفضها

أو تجاهلها. فنظرًا لأن شمولية عمليات التعذيب الذي يمارسه النظام السوري أصبح موضوعًا قانونيًا من خلال شهادات الناجين في قاعة المحكمة، يصبح من الصعب على الدول الأخرى التقليل من مزاعم الانتهاكات والسعي إلى تطبيع العلاقات مع نظام الأسد. إن المحاكمة هي بمثابة تذكير للمجتمع الدولي بشأن الفظائع التي ارتكبت في ظل نظام الأسد وتعيد تركيز الانتباه على دعوات المدافعين عن حقوق الإنسان للعدالة.^{١٨٥}

من خلال تسليط الضوء على الانتهاكات المستمرة التي تحدث في سوريا ، لفتت المحاكمة الانتباه أيضًا إلى وضع اللاجئين السوريين الذين تستحيل عودتهم أو اعادتهم بأمان إلى سوريا، وإلى أنّ الوقت لم يفت للتحرّك لإنقاذ المعتقلين. من كلمات إريك ويت، كبير مسؤولي السياسات في مبادرة عدالة المجتمع المفتوح، «بالرغم من أنه يصعب على أي محاكمة أن تلبي جميع مطالب المساءلة والعدالة، لا سيما في ظل هذا الانتشار الواسع للفظائع المرتكبة، إلا أنّ هذه المحاكمة مهمة للغاية، وخاصة بالنسبة لأولئك المتضررين بشكل مباشر من الجرائم المطروحة قيد التحقيق. أنها تظهر أنه يمكن بناء القضايا واعتقال المتهمين وتقديمهم للمحاكمة». ^{١٨٦} وبعد ذلك، يمكن لنفس الاصرار الذي أبداه الضحايا وجماعات المجتمع المدني

١٨٤ أعلاه مقابلة مع أنور البني، الحاشية 118 أعلاه، مقابلة مع باتريك كروكر، الحاشية

١٨٥ مقابلة مع باتريك كروكر، الحاشية 183 أعلاه ؛ مقابلة مع وفاء مصطفى، الحاشية 87 أعلاه ؛ مقابلة مع حسين غريب (14 كانون الأول 2021) ؛ مقابلة مع إريك ويت، الحاشية رقم 183 أعلاه. عمل إريك ويت مستشارًا للعلاقات الخارجية لدى رئيس المحكمة الجنائية الدولية. قبل ذلك ، عمل ويت كمستشار سياسي لدى المدعي العام للمحكمة الخاصة لسيراليون . حيث طور استراتيجيات لجلب الرئيس الليبيري السابق تشارلز تاييلور الفأر من العدالة أمام المحكمة. كما عمل في الائتلاف من أجل العدالة الدولية في واشنطن على الاستراتيجية السياسية التي أدت إلى اعتقال الرئيس الصربي السابق سلوبودان ميلوسيفيتش ونقله إلى المحكمة الجنائية الدولية الخاصة بيوغوسلافيا السابقة. نشر ويت العديد من الدراسات حول العدالة الدولية . كما ألف وشارك في تأليف العديد من منشورات مبادرة العدالة، بما فيها خيارات العدالة: دليل لتصميم آليات المساءلة عن الجرائم الجسيمة والفظائع المؤكدة: مواجهة الجرائم ضد الإنسانية في المكسيك.

١٨٦ مقابلة مع إريك ويت، الحاشية 183 أعلاه



العدالة من أجل سوريا

REZ-LES

دون المبالغة في التوقعات، يمكن القول بأن محاكمة كوبلنز هي خطوة تاريخية نحو العدالة لسوريا.^{١٨٧} لميس الخطيب، التي لا يزال زوجها مختفياً، تصف المحاكمة بأنها

«لتوجيه الاتهامات هو جزء من حقنا نحن الضحايا والناجون وعائلات الضحايا»

«حدث تاريخي» لأنها «تشكل سابقة قانونية». وتضيف الى أنها «تعطي دفعا للعائلات وللمنظمات كي تواصل انشاء القضايا ورفعها الى القضاء.» بالنسبة لعائلات الضحايا ، فهيتعكس قدرة الشعب السوري، على إيجاد بداية مسار نحو بعض المساءلة، على الرغم من كل الحواجز التي اعترضت طريقه. فقد أشارت لميس الخطيب إلى أن السبيل المتاح مثلاً «لتوجيه الاتهامات هو جزء من حقنا نحن الضحايا والناجون وعائلات الضحايا».^{١٨٨} وبالرغم من أنها لا تحقق «العدالة الحقيقية»، فتحميل الأفراد المجرمين مسؤولية

جرائم ارتكبوها ضد الإنسانية يبقى عنصراً حاسماً من مكونات العدالة؛ لأنه بدون المساءلة يستحيل تحقيق العدالة، ولا يمكن للمجتمع أن يتصالح مع ماضيه وصدقاتها وأن يمضي قدماً نحو المصالحة.^{١٨٩} إن محاكمة كوبلنز، يمكنها أن تشكل، اذا تفاءلنا، دافعا لإنشاء آليات أخرى للمحاسبة وحافزا للمجتمع ككل لمجابهة ارتكاب الفظائع. وان كانت المساءلة هي الخطوة الأولى ، فهي ليست في حد ذاتها حلاً شاملاً أو حلاً سحرياً.

فمفهوم العدالة متعدد الأوجه والمستويات وهو معقد وشخصي. والمساءلة ليست بالضرورة مرادفة للعدالة، كما أنها ليست مرادفة للشفاء أو المصالحة أو لبناء السلام. من أجل تحقيق العدالة، يجب معالجة المخالفات بطريقة يشهدها ويدركها السوريون المعنيون بها. بالتالي، وعلى الرغم من كون الولاية القضائية العالمية رمزية إلى حدك

كبي ، إلا أنها مع ذلك «أعطت الأمل في وجود مسار لشكل من أشكال العدالة» لأن العدالة الحقيقية «لا يمكن تحقيقها» نظراً لمدى الجرائم المرتكبة ولعدد المرتكبين والأرواح التي زُهِقت بسببها الى غير عودة.^{١٩٠} وأي حل لسوريا يجب ان يلحظ، الى جانب القانون الجنائي، جوانب أخرى كالسياسة والفن والتاريخ. إن المساءلة هي العنصر الأساسي للعدالة الانتقالية، ولكنها ليست سوى خطوة أولى نحو بناء السلم الاجتماعي.^{١٩١}

المساءلة ليست بالضرورة مرادفة للعدالة، كما أنها ليست مرادفة للشفاء أو المصالحة أو لبناء السلام.

بالنسبة للعديد من السوريين، كل معالجة على طريق العدالة يجب ان تشمل تغييراً منهجياً. فالذين ينتهكون حقوق الانسان يتصرفون في ظل نظام استبدادي ممنهج وينفذون أوامر رؤسائهم، الذين يشكّلون بدورهم جزءاً من نظام القهر والعنف. مثل أنور ر. وإياد ألذّين شاركا في هذا النظام مع أنهما غادرا سوريا منذ سنوات عديدة. إن محاسبتهم لا تُحدث تغييراً فعلياً على نظام التعذيب والاحتجاز المستمر عملياً. حتى الأسد نفسه يعتبر جزءاً من هذا النظام، وليس سبباً له، ومفتاح التغيير الاجتماعي

١٨٧ مقابلة مع لميس الخطيب، الحاشية 146 أعلاه

١٨٨ نفس المرجع

١٨٩ مقابلة مع عمر الشقري، الحاشية 22 أعلاه

١٩٠ نفس المرجع

١٩١ مقابلة مع محمد العبدالله، الحاشية 179، مقابلة مع انور البني، الحاشية 118 أعلاه

ليس بإزاحته من السلطة بقدرما هو بمواجهة الأيديولوجيا التي خلقت النظام في المقام الأول.^{١٩٢} فمن يسعى إلى مقارنة بناء العدالة في سوريا عليه أن يقارب المشكلة الحقيقية المتمثلة في فشل النظام بالكامل.

لا يمكن الإنكار بأنّ العدالة في سوريا هي عملية تتطلّب وقتاً حتى تكتمل ولا يمكن معالجتها من خلال آليّة واحدة. طرّح تحالف من الناجين السوريين وأقارب ضحايا الاغفاء القسري ميثاق الحقيقة والعدالة في شباط ٢٠٢١. ويقترح الميثاق «إطار عمل لتوجيه النشاط بشأن قضايا الاعتقال

التعسّفي والاضفاء القسري، واعتباراً من آراء الضحايا هي نقطة الانطلاق، بهدف مساعدة من ينشطون لنصرة هذه القضايا.»^{١٩٣} ومن ثم يتناول شتّى المراحل للوصول الى العدالة، العاجلة منها على المدى القصير كما الرؤية على المدى الطويل. وبناءً عليه، يطوّر الميثاق خطاباً يركّز على مطالب وتطلّعات الضحايا والناجين وأسرههم من خلال إعطاء الأولويّة لسردياتهم وإيصال صوتهم في ظلّ مبادئ القانون الدولي والمعايير الإنسانية.^{١٩٤} هناك العديد من الطرق التي تؤدّي إلى العدالة لسوريا، والحل يكمن في مكونات عدّة. وقد لحظت وفاء مصطفى، ان «العدالة ليست شيئاً نجده، بل شيئاً نبنيه».^{١٩٥}

أما ما يظهر جلياً فهو: أنّ أيّ آليّة للوصول الى العدالة، سواء أكانت قانونية أم مدنيّة، يجب أن يقودها سوريّون. فأى آليّة تُعتمد دون مشاركة فعلية مع الناجين بتجاربههم ومعلوماتهم لن تكون مشروعة ولن تشكّل كسباً من ناحية تحقيق العدالة. حتى في سياق المحاكمة الجنائية، فمن الضروري أن تتمحور المبادئ حول الناجين السوريّين وأسرههم. الإجراءات القانونية هي بطبيعتها تقنيّة، ولكن من المهمّ للغاية أن تظلّ العمليّات مركّزة على مجتمع الأشخاص المعنيّين بهذه الجرائم. يجب أن تكون الدفاع مركّزاً على الناجين وبقيادتهم. وفي حين أنّ الشراكة مع المنظّمات غيرالسوريّة مهمّة جدّاً،^{١٩٦} ينبغي أن تركز مثل هذه المنظّمات على دعم الناجين السوريين، وإيصال أصواتهم، والتأكد من أن المدافعين غير السوريّين مجهّزون لدعمهم وللاستماع إليهم.

تسلّط الأقسام التالية الضوء بإيجاز على بعض جوانب العدالة التي يعتبرها أعضاء المجتمع المدني السوري وكذلك الخبراء على أنّها جزء لا يتجزأ من أيّ معالجات مستقبلية .

ما يظهر جلياً هو: أنّ أيّ آليّة للوصول الى العدالة، سواء أكانت قانونية أم مدنيّة، يجب أن يقودها سوريّون

١٩٢ مقابلة مع محمد العبدالله، الحاشية 179 أعلاه

١٩٣ ميثاق الحقيقة والعدالة للضحايا السوريين وأفراد أسرهم، جمعية عائلات فيصر، (10 شباط 2021) <https://www.caesarfamilies.org/the-truth-and-justice-charter-by-syrian-victims-and-family-members>

١٩٤ ميثاق الحقيقة والعدالة: رؤية مشتركة حول مسألة الاختفاء القسري والاحتجاز التعسفي في سوريا من قبل الضحايا السوريين ومنظمات أفراد الأسر (شباط 2021) https://www.impunitywatch.org/files/ugd/f3f989_090b3c775e.pdf-ea2bcacb68664b52a2b9dc

١٩٥ مقابلة مع وفاء مصطفى، الحاشية 87 أعلاه

١٩٦ العبدالله، الحاشية 145 أعلاه

الحقيقة والمعلومات

إنّ الحقيقة هي إحدى الركائز الرئيسية للعدالة. فالحقيقة وتقضي الوقائع هي المبادئ الأساسية لأي عملية تتوخى العدل. من أوجه العدالة الملحة إثبات مصير المفقودين وإعادة رفات الموتى إلى عائلاتهم. إذ يصعب على العائلات، الاقتناع بأهمية المحاكمات إذا كان مصير أحبائهم لا يزال مجهولاً. تحديد مصير المختفين، إلى جانب تأمين الإفراج الفوري عن جميع المعتقلين، هي الأولوية الأكثر إلحاحاً في ميثاق الحقيقة والعدل.^{١٩٧}

اقترح بعض المدافعين إنشاء لجنة من المجتمع المدني من أجل الحقيقة، بناءً على النماذج المستخدمة في عدة لجان في دول أمريكا اللاتينية، أو وضع آلية مع تفويض إنساني لكشف مصير المخفبين دون التركيز على تحديد هوية الجناة. وقد صدر تقرير بتكليف من تحالف لمجموعات من ناشطين سوريين يحدّد آلية اكتشاف مصير المختفين.^{١٩٨}

الحفاظ على السرديات

بالإضافة إلى الحرب المستمرة على الأرض في سوريا، هناك أيضاً صراع ضمني للتحكم بالسرديات. فنظام الأسد وروسيا يتشاركان في حملات دعائية واسعة النطاق تهدف إلى تصوير الأحداث بشكل يحسن صورة النظام، وإلى تشويه سمعة أي مجموعة أو فرد قد يشكل تهديداً للنظام. أحد الأمثلة على ذلك هو حملة التضليل الروسية ضد الخوذ البيضاء التي قادتها السنوات، المنظمات التي تديرها الدولة والقنوات الإعلامية بنشر مزاعم حول المنظمات الإنسانية والمنقذين بوصفهم «إرهابيين» يخططون لهجمات كيماوية في سوريا.^{١٩٩} النظام السوري وحليفته روسيا، بوصفهما قادة الأعمال الإجرامية، لم يكتفيا بتشويه سمعة الخوذ البيضاء، بل وصما كل من يعارض النظام بلقب «الإرهابي». لهذا السبب، يشكل مقاومة تلك الدعايات وكذلك الحفاظ على حقيقة السرديات، عنصراً آخر من مكونات العدالة، سواء من خلال أرشفة الأدلة أو في الإصرار بشكل يومي على ضرورة إنقاذ المعتقلين. من المنظمات التي تعمل في هذا المجال لبناء العدالة هو المركز السوري للعدالة والمساءلة (SJAC)، الذي يعمل على التوثيق الشامل للانتهاكات حقوق الإنسان على الأرض.^{٢٠٠} يوفر المركز هذه الأدلة من خلال قاعدة بياناته المصممة لهذا الغرض، بيانات، بحيث يمكن مشاركتها مع المدّعين العامين أو مع الآلية الدولية المحايدة والمستقلة (IIM).

١٩٧ مراقبة الإفلات من العقاب، الحاشية 194 أعلاه Impunity watch

١٩٨ Sarkin، الحاشية 134 أعلاه

١٩٩ الخوذ البيضاء هم عاملون في المجال الإنساني من جميع القطاعات التجارية الذين يتطوعون للركض نحو موقع التفجيرات والهجمات الكيماوية في منطقة جند إنقاذ الناجين والذين كانت بياناتهم وشهادات شهود العيان، فضلاً عن الأدلة الفوتوغرافية، مصادر حيوية للمعلومات بالنسبة للتحقيقات الدولية في جرائم الحرب من قبل الهيئات الدولية (بما في ذلك الأمم المتحدة) والمنظمات غير الحكومية

٢٠٠ أوليفيا سولون، كيف أصبح الخوذ البيضاء في سوريا ضحايا آلة دعابة عبر الإنترنت، الغارديان (18 كانون الأول 2017، الساعة 3:01 صباحاً بتوقيت شرق الولايات المتحدة) <https://www.theguardian.com/world/syria-white-helmets-conspiracy-theories.rjg/18/dec/2017/com/world-killing-the-truth.pdf/12/2017/uploads>

٢٠١ افتتاحية، نظرة الغارديان إلى جائزة نوبل للسلام: يجب إعطاؤها للخوذ البيضاء، الغارديان (5 تشرين الأول 2016، الساعة 2:33 بعد الظهر) <https://www.theguardian.com/commentisfree> <http://the-guardian-view-on-the-nobel-peace-prize-give-it-to-syrias-white-helmets/05/oct>

من خلال فهرسة الملايين من المعلومات الشاملة المتاحة، تمكّن الوصول إلى التوثيق بسهولة أكبر. كما أتاح المركز السوري للعدالة والمساءلة رمز برنامج قاعدة البيانات، مجانبًا، للمجموعات الأخرى من أجل استخدامه في جهودهم الخاصة لتوثيق الجرائم في سوريا أو في مناطق النزاع الأخرى. هذا النوع من التوثيق والحفاظ على الأدلة هو عنصر مهم في خدمة القضايا ضد المتهمين بارتكاب جرائم ضد الإنسانية وفي تقويض الروايات الكاذبة التي ينشرها النظام وحلفاؤه. لأرشيف السوري هو منظمة غير حكومية سورية

«... الحاجة الماسة إلى الجهد

«لحفاظ على الكرامة والحسّ

بالإنسانية لدى الشعب السوري

“من خلال هذه المجموعة

وكذلك” الحاجة إلى ضمان أن

هذا الحفظ ينهض بالسرديات

وبالذاكرة الجماعية للشعب

السوري وللشهود على الجرائم

التي ارتكبت في سوريا من قبل

جميع الأطراف، من أجل السعي

للمساءلة واستكمالاً لجهود

نحو العدالة الانتقالية.»

أخرى تعمل على الحفاظ على السرد الرقمي لانتهاكات حقوق الإنسان ، بما في ذلك استعادة المواد المحذوفة من منصات التواصل الاجتماعي. لقد لعبت دورًا أساسيًا في جمع الأدلة والشهادات لشكوى تم تقديمها أمام محكمة مختصة بجرائم الحرب في فرنسا وألمانيا بسبب استخدام نظام الأسد للأسلحة الكيماوية - وهي أول حالة من نوعها - ركزت على الهجمات على ضواحي دمشق في الغوطة الشرقية والغربية في آب ٢٠١٣. ^{٢٠٤}

والجدير بالذكر أن الأرشيف السوري يحتوي على أكثر من ٣ ملايين سجلًا مؤرشفًا بنيته الأساسية، ولا ينشر منها إلا تلك التي تمّ التحقق منها من خلال منهجية موحّدة. ^{٢٠٥} في مقابلة مع الجلود وحنين من الأرشيف السوري، أكدت على الحاجة الماسة للجهود المبذولة «لحفاظ على الكرامة والحسّ بالإنسانية لدى الشعب السوري» من خلال هذه المجموعة، وكذلك» الحاجة إلى ضمان أن هذا الحفظ ينهض بالسرديات وبالذاكرة الجماعية للشعب السوري وللشهود على الجرائم التي ارتكبت في سوريا من قبل جميع الأطراف، من أجل السعي للمساءلة واستكمال الجهود

نحو العدالة الانتقالية. ^{٢٠٦} علاوة على ذلك ، يحقّ الأرشيف السوري في انتهاكات حقوق الإنسان في سوريا من خلال البيانات المحفوظة في الأرشيف، والمقابلات التي يجريها، وقانون حرية المعلومات الذي يطلبه. ظهرت هذه التحقيقات في وسائل الإعلام الدولية ^{٢٠٧} وتستخدم في قضايا المحاكم الجارية حول العالم.

٢٠٢. بيانات الانتهاكات ، مركز العدالة والمساءلة في سوريا <https://syriaaccountability.org/database> (آخر زيارة في 25 آذار 2022).

٢٠٣. بيانات، مركز العدالة والمساءلة في سوريا <https://bayanat.org> (آخر زيارة في 25 آذار 2022)

٢٠٤. مقابلة مع الجلود وحنين، الحاشية 131 أعلاه

٢٠٥. لمزيد من المعلومات حول عملية التحقق والأساليب والأدوات المستخدمة للحفاظ على المحتوى الرقمي ، مراجعة الأساليب والأدوات ، الأرشيف السوري- <https://syrianarchive.org/en/about/methods-tools> (آخر زيارة 25 آذار 2022)

٢٠٦. مقابلة مع الجلود وحنين، الحاشية 131 أعلاه

٢٠٧. تحقيقات، الأرشيف السوري. <https://syrianarchive.org/en/investigations> (آخر زيارة 25 آذار 2022)

من خلال عملهم في الدفاع عن الحقيقة، يتواصل الأرشيف السوري و Mnemonic مع الحكومات وشركات التكنولوجيا والمنصات ، بما فيها Twitter و Facebook و Youtube لاعتماد مقاربة واضحة «تقلل من تأثير سياسات تعديل المحتوى المؤذي» في محاولة للحفاظ على المواد الرقمية التي تمت إزالتها أو حذفها بسرعة من المنصات الرئيسية. إنّ الضحايا السوريين، والناجين وأسرهم وكذلك كل الذين يعملون من أجل تحقيق العدالة، جميعهم بحاجة ماسة للتأكد من أن مثل هذا المحتوى لا يزال متاحاً وأن الأدلة موجودة. فالأرشيف السوري يمكن بشكل ملحوظ «جهود المناصرين للعدالة بواسطة توفير بيانات موثوقة شاملة حول عمليات إزالة وثائق حقوق الإنسان من منصات وسائل الإعلام».^{٢٠٨}

الشمولية والمساواة بين الجنسين

كل العمليات الهادفة الى عدالة أو الى مساءلة محتملة يجب أن تنظر باهتمام الى الاختلاف في مدى تأثير الصراع على النساء، وعلى مجتمع LGBTQ + ، وعلى مجموعات أخرى داخل المجتمع السوري. يجب أن تراعى الفوارق بين الجنسين عند التحليلات، ليس فقط على حالات العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي، بل أيضاً على كل خطوة من خطوات العملية. وهذا يتطلب وعي هذه الاختلافات عند جميع مراحل الإجراءات الجنائية، ابتداءً من التحقيق وصولاً الى المحاكمة والتأكيد على وجود سيّدات محققات ومحاميات وقاضيات.

إنّ مقاربة عملية توثيق العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي يجب أن تتم بحساسية فائقة لضمان توفير المعايير الأخلاقية للعملية، بما في ذلك السرية، والموافقة المؤكدة، والأمان، والقدرة على تقديم الدعم النفسي والاجتماعي، والاعتراف بأن الناجين يأتون في المقام الأول وذلك من خلال أي خطوة تضمن «عدم إلحاق الأذى».^{٢٠٩} وضع هذه التدابير قيد التنفيذ يشجّع ويدعم الناجين على الظهور وسرد تجاربهم.^{٢١٠}

بشكل أشمل، يجب أن تراعى مفاهيم العدالة واقع المجتمع السوري الأبوي. حتى داخل الشبكات السوري ومنظمات المجتمع المدني تبقى القيادة في الغالب بيد الرجال، مع القليل من الأدوار القيادية للنساء أو لأعضاء من مجتمع LGBTQ +. تواجه العديد من المدافعات عن حقوق الإنسان الاستبعاد وكرهية النساء. إذ إن دفاع المرأة لا يؤخذ على محمل الجد ولا يُنظر إليه من نفس المنظور السياسي. من المريح النظر إلى النساء على أنهنّ ضحايا بدلاً من رؤيتهن كمدافعات عن نفس السياسة التي يدافع عنها نظرائهن من الذكور. لذلك، فإن تعبئة المجتمع هي العنصر الأساسي الذي يضمن تخطي وصمة العار هذه ودعم جميع أفراد المجتمع.

^{٢٠٨} Mnemonic, <https://mnemonic.org> (آخر زيارة 25 آذار 2022)

^{٢٠٩} «هل تعرفون ماذا يحدث هنا؟» تحليل لروايات الناجين من العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي في سوريا، مركز العدالة والمساءلة في سوريا (2019) <https://syrtaaccountability.org/wp-content/uploads/SGBV-report.pdf>

^{٢١٠} مقابلة مع الكسندرا ليلي كاتر، الحاشية 93 أعلا

الصحة النفسية

الاعتراف بتأثير الصدمات الشخصية والمجتمعية، وضمان الوصول إلى خدمات الصحة النفسية هو عنصر أساسي من عناصر العدالة. على عكس الجوانب الأخرى، والتي يستغرق تحقيقها وقتاً طويلاً، تُعتبر الصحة النفسية والدعم النفسي من أشكال العدالة الأسرع من حيث امكانيّة التنفيذ.

يجب أن يأخذ الوصول إلى خدمات الصحة النفسية في الاعتبار الظروف العملية، مثل ضمان توافرها النوع من الخدمات وإمكانية الوصول إليها داخل المجتمعات التي تحتاجها. فقد روت وفاء مصطفى على سبيل المثال، أنها اضّطرت للعمل ١٨ ساعة في اليوم لكسب ما يكفي من المال لإعالة أسرتها بعد مغادرتها سوريا، ولم يكن لديها وقت للعلاج.^{٢١١} يجب أن يراعي مقدّمو الدعم النفسي هذا النوع من الظروف وأن يعملوا على استيعابها. وبالمثل، من المهم تشجيع الناجين على الاستفادة من خدمات الصحة النفسية المتاحة والعمل على تخطي الصدمات التي تحيط بالرعاية الصحية النفسية. مثال على نموذج من خدمات الصحة النفسية المجتمعية هو مبادرة تعافي،^{٢١٢} وهي مجموعة يقودها ناجون وتركّز على تقديم الخدمات كالمسكن، والدعم النفسي والاجتماعي، والرعاية الصحية للناجين، بالإضافة إلى تطوير المفاهيم المتعلقة بكيفية تأثير الصدمات على المدافعين عن حقوق الإنسان وعلى المجتمعات عاقبة.

وقد أشار أحمد حلمي، عضو المبادرة، كيف كان مجرد سرده لتجربته في الاحتجاز هو بحدّ ذاته علاجي، في حين يعرف عمر الشخري خطابه أمام جمهور من العالم أجمع بأنه «شكل من أشكال العلاج». تجدر الإشارة إلى أنه يبقى الكثير من العمل من أجل تحسين الوصول إلى موارد الصحة النفسية وغيرها من الأمور. في الواقع، إنّ الناجين بمعظمهم يواجهون باستمرار تحديات وصعوبات كبيرة في إيجاد الوقت للوصول إلى الموارد التي يحتاجونها لإعادة بناء حياتهم إذ يستमितون في العمل لساعات طويلة فلا يبقى لهم من الوقت الا القليل للتركيز على الشفاء ومعالجة صحتهم العقلية. فضلاً عن أن الوصول إلى مراكز قادرة على ارشادهم بطريقة ملائمة ثقافياً تبقى محدودة.

إنّ الحاجة إلى تأمين الدعم النفسي ليس فقط للناجين من الاعتقال أو التعذيب، ولكن أيضاً لأفراد عائلاتهم وأفراد عائلات المختفين هي بخاية الأهمية. فالمعاناة الناتجة عن جهل مصير الأحباء، والشعور المحتمل بالذنب لدى الناجين الذين تمكّنوا من الإفلات من الاعتقال أو التعذيب بينما فشل آخرون، بالإضافة إلى الحزن على من فقد الحياة، كل من هذه الآلام تستحق الاهتمام والدعم.

٢١١ مقابلة مع وفاء مصطفى، الحاشية 87 أعلاه

٢١٢ «تعافي» هي مبادرة يقودها الناجون السوريون وتركّز على الناجين وتهدف إلى دعم ضحايا الاحتجاز وحمايتهم، والتعذيب والاختفاء القسري عند إطلاق سراحهم وتوطينهم في مكان آمن. حتى يتمكنوا من الاستمرار في تقديم الدعم السلمي لهمتغير حقوق الإنسان في سوريا والسعي لتحقيق العدالة والمساءلة.»

٢١٣ مقابلة مع عمر الشخري، الحاشية 22 أعلاه

الخاتمة



دخل الصراع السوري عامه الحادي عشر بكلفة بشرية باهظة. مع نصف مليون ضحية، وعشرات الآلاف من السجناء والمخفيين قسراً لا تزال سوريا تشكّل أكبر أزمة لاجئين في العالم مع 6,6 مليون لاجئ و 6,7 نازح داخلياً. فقد سمح الصمت الدولي لنظام الأسد وبدعم من حلفائه - روسيا والنظام الاستبدادي الإيراني - أن يشن حرب ضد الشعب بينما يُنتهك القانون الدولي وتُرتكب الجرائم ضد الإنسانية وحقوق الإنسان بشكل صارخ وبحصانة كاملة. ومن بين الفظائع التي مورست بشكل منهجيّ نعدّ التعذيب على أنواعه والاختفاء القسري، إلى جانب قصف المنشآت الطبية والمناطق المدنية، بالكيماويات والهجمات بالأسلحة. وفيما قدّم حلفاء المعارضة دعماً بالعتاد والمعدات العسكرية، كانت قدرة المجتمع الدولي على الاستجابة بشكل هادف مقيّدة بأحكام محكمة العدل الدولية والمحكمة الجنائية الدولية وكذلك بلجوء روسيا المتكرّر لاستخدام حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن الدولي.

ضمن هذا السياق، يسمح مبدأ الولاية القضائية العالمية للحكومات الوطنية بمقاضاة المتهمّين بارتكاب جرائم ضد الإنسانية. ففي كوبلنز بألمانيا، فاز المدّعون بمحاكمات تاريخية ضد إيد أ. وأنور ر. وقد سجّلت تلك القضايا علامة فارقة في مسار العدالة الدولية وللعادلة لسوريا، إذ تمثل أول محاكمات للتعذيب برعاية الدولة في ظل نظام الأسد وأول مرة تتمّ محاكمة مسؤولين في النظام قبل انتهاء الحرب. كما تمثّل هذه القضايا خطوة مهمّة نحو العدالة بالنسبة للناجين، إذ تؤكد إمكان المساءلة الجنائية وعدم الإفلات من العقاب لمنتهكي حقوق الإنسان. يمكن لهذه المحاكمات أن تُستخدم كسوابق قانونية في قضايا مستقبلية والاعتماد عليها في تدابير شاملة مماثلة. إلا أنّه وعلى الرغم من الطبيعة التاريخية والرائدة لمحاكمة كوبلنز، فإن تأثيرها لا يزال محدوداً. فالأسد نفسه، والغالبية العظمى من أولئك الذين يرتكبون الانتهاكات، لا يزالون بعيدي المنال بالنسبة لقوانين المجتمع الدولي. في سوريا، يستمرّ الاعتقال والتعذيب والقتل وتعيش العديد من العائلات القهر والعذاب إذ يجهلون مصير أحبائهم المختفين. فالناجون من الاعتقال والنشطاء وسوريّو الشتات يواجهون تحديات جمة، ومنها، إلى جانب الصعوبات الماديّة، محدوديّة الوصول إلى موارد الصحة العقلية، ونقص الدعم السياسي أو القانوني، وخاصة رفض المجتمع بالنسبة للناجين من العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي. ولكن، على الرغم من هذه القيود، تظل الولاية القضائية العالمية واحدة من أكثر الخيارات القابلة للتطبيق والمتاحة في الوقت الحاضر من أجل المتابعة والمساءلة الجنائية عند ارتكاب الجرائم ضد الإنسانية. ينبغي دعم الجهود المبذولة لتوسيع نطاق المستوى الوطني للتحقيقات والمحاكمات في الجرائم الأساسية بموجب القانون الدولي. في الخلاصة، فإن الولاية القضائية العالمية والمساءلة القانونية عن الجرائم ضد الإنسانية ليست سوى جانب واحد من جوانب العدالة لسوريا. تُعتبر الإجراءات القانونية ضد مرتكبي انتهاكات حقوق الإنسان بالغة الأهمية ولكن يجب أن تكملها مبادرات أخرى.

وتشمل هذه المبادرات الحفاظ على السرديات ومناهضة الدعاية، وتوفير مساحة للناجين من العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي، وتوفير الوصول إلى خدمات الصحة العقلية، واللجوء إلى العقوبات ضد المعتدين مع اتّخاذ جميع التدابير الممكنة لتقليل التأثير على المدنيّين، والكشف عن مصير المفقودين، ومعالجة دور القوى الإقليمية والوطنية في الصراع. وقد دافعت مجموعات المجتمع المدني التي يقودها الناجون وعائلات الضحايا عن هذه القضايا، وقامت بجهود قيّمة لمناصرتها. يبقى على الدول الأخرى، ولا سيما الديمقراطيات منها، أن تعمل على تعزيز العدالة في سوريا وعلى محاسبة مرتكبي الجرائم ضد الإنسانية.

توصيات ودعوات للعمل



بناءً على نتائج هذا التقرير وعلى المقابلات التي أجريت مع خبراء حول الموضوعات التي تم تناولها، تُدرج فيما يلي سلسلة من التوصيات تتوجّه للجميع وبخاصة للمجتمع الدولي، وصانعي القرار، والحقوقيين وغيرهم من الخبراء المعنيين، بالإضافة إلى شركات التكنولوجيا والإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي العالمية.

توصيات للمجتمع الدولي

- **اعتماد مقاربات تركز على الضحايا وتسعى لتحقيق التوصيات والمطالب الواردة في ميثاق الحقيقة والعدالة الذي يسعى ل** «للمضي قدماً في الدفاع عن حقوق الضحايا وعن قضية العدالة والحقيقة في سوريا». يدعم مثل هذا التبنّي الجهود القصيرة والطويلة المدى نحو بناء وتأطير عدالة شاملة لضحايا الاعتقال وعائلاتهم.
- **ممارسة الولاية القضائية العالمية بفعالية لمقاومة مرتكبي جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية في سوريا.** حثّ الدول على اللجوء إلى الولاية القضائية العالمية في قوانينها الوطنية والتحقيق والملاحقة القضائية في جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية حالما يُشتبه بالمرتكبين في النطاق الداخلي. الولاية القضائية العالمية هي آلية يمكن للدول اللجوء إليها لرفض الطريق المسدود والمسيس في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة (UNSC) ولرفض التسليم بالجرائم ضد الإنسانية.
- **دعم ممارسة الولاية القضائية العالمية والآليات الأخرى، بما فيها الآلية الدولية المحايدة والمستقلة (IIIM).** نظراً للقيود التي غالباً ما تحول دون إنشاء ملقيدّم أمام محكمة مختلطة أو خاصّة أو ولاية قضائية من شأنها أن تؤدي إلى مساءلة فورية ضدّ أركان نظام الأسد، يتوجب على المجتمع الدولي دعم المسارات البديلة التي تسعى إلى غرس ثقافة المساءلة.
- **دعم الجهود المبذولة للحصول على الموافقة على قرار مجلس الأمن الدولي بشأن المعتقلين والمفقودين في سوريا.** الدعوة إلى إطلاق سراح جميع المعتقلين ووضع حد للاستخدام الممنهج للاعتقال التعسفي والاضفاء القسري، والتعذيب من قبل النظام السوري وجميع الجهات الفاعلة الأخرى.
- **تشجيع الدول على توفير الموارد والخبرة في مجال النوع الاجتماعي لإنفاذ القانون وتمكين المدعين العامين من التحقيق الكامل والشامل في مزاعم الجرائم ضد الإنسانية في سوريا، وعلى وجه الخصوص جرائم العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي.** تساعد هذه الإجراءات على تقليص امكانيّة الإفلات من العقاب المتاحة مع اختصاص المحكمة الجنائية الدولية (ICC)، وتهيئة بيئة عالمية للمساءلة التي تثبط ارتكاب انتهاكات ضد حقوق الإنسان.
- **لا ينبغي للدول التي تعتبر ملاذات آمنة للاجئين السوريين أن ترخّب في الوقت نفسه مجرمي النظام السوري وتأويهم.** يجب على الحكومات القيام بعمل أكثر شمولاً في التحقّق من الذين يدخلون حدودها ويطلبون اللجوء إليها.

توصيات للحقوقيين ولصانعي السياسات

- **ضمان أن أي آلية للعدالة أو المساءلة، بما في ذلك محاكمات الولاية القضائية العالمية، تتم بمشاركة ومساهمة كاملة من قبل الناجين السوريين ومنظمات المجتمع المدني السورية، والتحقق من إمكان الناجين السوريين الوصول إليها.** أمّا التوصيات المحددة للوصول الى هذا الهدف فتشمل التأكد من تثقيف المهنيين القانونيين والقضاة حول الصراع السوري وحول الثقافة السورية، حيث يتم توفير خدمات الترجمة، وكذلك يمكن لبعض سوربي الشتات السوري المشاركة في آليات جلسات الاستماع وحضورها.
- **ضمان دعم الناجين من العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي في الإجراءات القانونية حتى داخل مجتمعاتهم، وأن تكون آليات العدالة متنبهة للتأثير المتباين للصراع حسب تباين النوع الاجتماعي والتوجه الجنسي.** ذلك بالإضافة إلى إنشاء سابقة قانونية من حيث اعتبار العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي على أنه ضمن الجرائم ضد الإنسانية، يجب أن تتم العمليات الجنائية من منظور يراعي الفوارق بين الجنسين، ويجب توعية المشاركين في العملية حول كيفية تأثير القضايا على النساء وعلى أفراد مجتمع LGBTQ+. كما يجب أن تتمثل النساء وأعضاء مجتمع LGBTQ+ بشكل كامل وأن تشملهم الإجراءات القانونية ومبادرات المجتمع المدني.
- **دعم الوصول إلى خدمات الصحة النفسية والطبية كعنصر أساسي لتحقيق العدالة في سوريا والعدالة للناجين من العنف.** يجب توفير خدمات الصحة النفسية والدعم النفسي والاجتماعي لسوربي الشتات. كما يجب أن تشجع المبادرات المجتمعية التي تمكن الناجين من الحصول على الخدمات الصحية العقلية.
- **الاعتراف بأن العدالة تتعدى نطاق قاعة المحاكم.** مما يوجب إنشاء شبكة منظمة لدعم الناجين وأسر الضحايا لتأمين رؤية شاملة للعدالة. يجب أن تتضمن هذه الشبكة موارد الحماية الاجتماعية والاقتصادية للناجين، بحيث تتحمل المؤسسات الرسمية ومؤسسات المجتمع المدني مسؤولياتها وتساهم في إعادة بناء حياة السوريين.

توصيات للحقوقيين ولصانعي السياسات

- **دعم الحملات والمبادرات، ولا سيما تلك التي يقودها الناجون وأسرهم بهدف لفت الانتباه إلى المخفيين قسراً.** سوف يترتب على هذه الحملات والمبادرات تكريس الموارد لدعم أسر المفقودين والارتقاء بقصصهم وكذلك دعم مبادرات تقصي الحقائق لكشف مصير المخفيين وتحريرهم من الاعتقال أو ارجاع رفات المتوفين لعائلاتهم كي تُدفن بشكل لائق. من الأهمية بمكان الحفاظ على كرامة المختطفين وقيمتهم الإنسانية، لتعزيز فكرة أن كل فرد يحتجزه أكثر من مجرد ضحية تعذيب، وأنه ينبغي احترامه عند نشر وتداول الصور والأدلة التي تظهر ضحايا الجرائم ضد الإنسانية المتوقفين.

- **الضغط على المجتمع الدولي لرفض أي تطبيع للعلاقات مع نظام الأسد، ومحاسبة حلفاء النظام، مثل روسيا وإيران، على ارتكابها التجاوزات.** بالنظر إلى رعاية نظام الأسد المثبتة للجرائم ضد الإنسانية، يترتب على المجتمع الدولي ألا يسعي إلى التطبيع الدبلوماسي أو الاقتصادي مع سوريا على نمط «المال والاعمال، كالمعتاد» طالما أن الأسد لا يزال في السلطة. يجب أن تُحاسب روسيا وإيران في كنف المجتمع الدولي على دعمهما للنظام، وفي حالة روسيا، على استخدامهما حق النقض في مجلس الأمن الدولي لحماية الأسد.

توصيات لشركات التكنولوجيا العالمية والإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي

- **تلتزم شركات التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي بتعزيز العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان، مما يترتب وضع سياسات واضحة وشفافة للحفاظ على المحتوى الرقمي الموثوق به والاستعداد لتقديمه إلى المحاكم التي تسعى إلى العدالة والمساءلة في جميع أنحاء العالم** يتضمّن ذلك إنشاء آليات للحفاظ على المحتوى الرقمي المعرض لخطر الإزالة من خلال الإشراف على مواقع التواصل الاجتماعي. آلية واضحة مثل تلك التي أنشأتها nemonic، التي تسمح بتحليل المعلومات الرقمية والتحقق منها، والحفاظ عليها وهي معلومات تصل إلى الآلاف من الناس الذين يعرّضون حياتهم للخطر لتوثيق فضائح انتهاكات حقوق الإنسان، مثل هذه الآلية يجب أن تكون متوفرة في نظام شركات التكنولوجيا العالمية. إن الإشراف على المحتوى الرقمي هذا له فوائد مباشرة في الحفاظ على الذاكرة وتوثيق الانتهاكات والدفع بجهود الوصول إلى الحقيقة والمصالحة قُدماً. ولا يجب أن يكون هذا المحتوى مهدّداً بالزوال لأسباب أو مصالح خاصّة. لذا يجب وضع آلية للحفاظ على مثل هذه المواد لضمان توافرها كقرائن مفيدة لإنشاء القضايا القانونية عند الحاجة.
- **الالتزام بخطوات ملموسة لمكافحة المعلومات المضلّة والمؤذية للعمل معاً لضمان العدالة لضحايا جرائم الحرب في سوريا ومحاسبة مرتكبي تلك الجرائم.**
- **بناء شبكة من النشطاء والخبراء في مجال التكنولوجيا** والتي تتضمّن سرد خاطيء للحقائق. تعليق الحسابات التي تعتمد التضليل المنسق. يجب إذا أن تلتزم شركات وسائل التواصل الاجتماعي بتقييم مصدر وقيمة محتوياتها الرقمية من منظور حقوق الإنسان، وذلك في محاولة منها لضمان الاحترام في سياسات المنصّات وتعديل المحتوى العنيف الذي يعتبر غير مناسب.
- **يجب على وسائل الإعلام إجراء تحقيق شامل** في انتهاكات وتجاوزات حقوق الإنسان التي تحدث في سوريا **وايصال أصوات الناجين بزخم** وكذلك مطالبات أسر الضحايا ومنظمات المجتمع المدني التي تسعى لتحقيق العدالة في سوريا.

